وزارة التعلـــيم العالي والبحـث العلمـــي

جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

أدب الرحلات ودوره في التواصل بين الحضارات

أبو القاسم سعد الله –أنموذجا-

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص :أدب حديث ومعاصر

من إعداد الطالبتين

حمام سمية

ذهيبة كوثر

إشراف الدكتور:

برادي علي

السنة الجامعية: 2019 / 2020

دعـــاء

اللهم ارزقنا حسن التوكل عليك، ودوام السعي إلى رضاك، وجنبنا وساوس الشيطان، وقنا شر الإنسان والجان، وهب لنا حقيقة الإيمان، وارزقنا الخير والحلال، اللهم إني أسألك علما نافعا ، ورزقا واسعا، وقلبا خاشعا، ونورا ساطعا وذرية صالحة، وشفاء من كل داء، اللهم إني أسألك درجات العلا، وارزقنا الجنة، والإيمان الخالص، وعلما نافعا، اللهم أرحم أبي وأمي برحمتك يا أرحم الراحمين، وأسكنهما الجنة مع الصالحين، اللهم زدنا حبا إليك ولِ لى نبيك محمد صلى الله عليه وسلم.

شكر وعرفان:

من لا يشكر الناس لا يشكر الله.

الحمد لله الأول الذي ليس قبله شيء والحمد لله الآخر ليس بعده شيء يعلم

دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء الحق الذي انزل الحق.

الحمد لله حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، ونشكره شكر الشاكرين الذاكرين

ان من علينا بفضله ووفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع.

كما نتقدم بالشكر الجزيل مع أسمى معاني التقدير والاحترام إلى الأستاذ المشرف

"وادي علي " الذي كان لما فضل الإشراف على هذا العمل.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الخالص والامتنان الكبير إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية.

وإلى الأساتذة الساهرين على حمل مشعل النور الأجيال طريق العلم والرقي، الذين ساعدوني على إعداد هذه

المذكرة ونخص بالذكر أساتذة تخصص أدب حديث ومعاصر 2020

وأخيرا نتقدم بالشكر إلى كل من ساهم في انجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة.

فألف شكر إلى كل هؤلاء وجزاهم الله خيرا عنا كل خير وما توفيقنا

إلا بالله وهو رب العرش العظيم لا إله إلا الله.

سمية كوثر



أهدي ثمرة عملي المتواضع إلى:

اللذان قال فيهما الله تعالى: {واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا }

سوره الإسراء 24

إلى التي جنتي تحت قدميها، والتي ربتني على المبادئ الحميدة بصبرها وبحلمها وإيمانها،

لا وصف يوافيها ولا كلام يعرف قدرها حفظها الله ورعاها "أمـــي"

إلى من كلله الله بالمهيبة والوقار، إلى من علمني العطاء بلا انتظار، إلى من أحمل اسمه

بكل افتخار "والدي العزيـز" أطال الله في عمرهما وجعلني تاج شرف لكما في الدنيا والآخرة

إلى أخواتي: "الياقوت، شهيرة وزوجها، إيمان" وإخوتي "عيسى ومحمد"

إلى البرعم الصغير الغالي حفيد العائلة الوحيد "محمد"

وإلى عائلتي الثانية عائلة خطيبي "لعجال" وأخص بالذكر عبد الرحمان

إلى من تقاسمت معها مشوار الدراسة بكل أفراحه "كوثر" إلى كل صديقاتي وأحبتي

بدون استثناء، مادامت الحياة صفحات دربها الإخلاص والوفاء.

وإلى كل طلبة تخصص أدب حديث ومعاصر خاصة دفعة تخرج 2020

وإهداء خاص إلى ابنته خالتي "يامنة"

إلى من ساعدني ولو ببسمة وكلمة طيبة، إلى من لو تسعهم

ورقتي ووسعهم قلبي، إلى كل من له مكانة في قلبه،

إلى من سقط من قلمي سهوا أهدي هذا العمل.



سمية



أهدي ثمرة عملي المتواضع إلى:

اللذان قال فيهما الله تعالى: {واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا }

سوره الإسراء 24

إلى التي جنتي تحت قدميها، والتي ربتني على المبادئ الحميدة بصبرها وحلمها وإيمانها،

لا وصف يوافيها ولا كلام يعرف قدرها حفظها الله ورعاها "أمـــي"

إلى من كلله الله بالمهابة والوقار، إلى من علمني العطاء بلا انتظار، إلى من أحمل اسمه

بكل افتخار "والدي العزيـز" رحمه الله وإلى أبي الثاني "لعجال عبد القادر" الذي منحني القوة والعزيمة لمواصلة دروب الحياة وكان سندا لي وعونا

إلى أختي: "أسماء وزوجها، إسماعيل" و أخي "عبد الكريم"

إلى البرعم الصغير الغالي حفيد العائلة الوحيد "معين"

وإلى عائلتي الثانية عائلة زوجي "بقعة" وأخصه بالذكر اسماعيل

إلى من تقاسمت معها مشوار الدراسة بكل أفراحه "سمية" إلى كل صديقاتي وأحبتي

بدون استثناء، مادامت الحياة صفحات دربها الإخلاص والوفاء.

وإلى كل طلبة تخصص أدب حديث ومعاصر خاصة دفعة تخرج 2020

إلى من ساعدني ولو ببسمة وكلمة طيبة، إلى من لم تسعهم

ورقتي ووسعهم قلبي، إلى كل من له مكانة في قلبه،

إلى من سقط من قلمي سهوا أهدي هذا العمل.



كوثر

مقدمـــــة

مقدمـــــــة

يفسح الأدب المقارن المجال واسعا لدراسة أدب الرحلات فالرحلة تمثل برهانا ماديا للاتصال المباشر وتؤكد على ما يقدمه هذا اللون من الأدب من حمولة ثقافية،ويعد أدب الرحلة من الأنواع الأدبية التي اتسمت بمميزاتها وطابعها الخاص وذلك أن مضمونها يتعرض لمختلف نواحي الحياة السياسية،الاجتماعية،الاقتصادية والدينية غير أنها لم تحظ بالدراسة التي تستحقها مثلما حظيت الأنواع أو الفنون الأدبية الأخرى كالقصة وغيرها ويمكن القول أن أدب الرحلة الجزائري هو أدب بكر لا تزال مناجمه مادة خام،لم يحظ بدراسات كافية إن لم نقل أنها نادرة حول فنون أدبية كالشعر مثلا رغم وجود مادة جيدة وكثيرة تنافس أدب الرحلة العربي.

وعليه ارتأينا الخوض في هذا الموضوع،غرض التنقيب في ثناياه وا ٍبرازه إلى الوجود ومن هنا جاء موضوع بحثنا موسوم "بأدب الرحلة ودوره في التواصل بين الحضارات" أبو القاسم سعد الله أنموذجا،ولم يكن اختيارنا لهذا الموضوع وليد الصدفة بل كان نتيجة تضافر مجموعة من العوامل الذاتية والموضوعية أما الذاتية فتتلخص في ميلنا واهتمامنا بالأدب العربي عامة وبأدب الرحلة على وجه الخصوص،وأما الموضوعية فتتمثل في قلة الدراسات الخاصة بأدب الرحلة في الجزائر،إذ كثيرا ما ينصب الاهتمام على دراسة الأدب المشرقي،وهذا ما حرك النزعة في نفسنا لولوجه والتعمق فيه خاصة بعدما اتضح لنا أنه موضوع بكر لا يحظ بدراسة جادة ومستقلة،وا ٍن جاء الحديث عنه جزئيا في ثنايا الكتب رغم أنه لون أدبي مستقل له مكانة في الأدب العربي،وما حفزنا أكثر لاختيار هذا البحث هو الاطلاع علىالأسباب الأخرى وتقديم الرؤية الغربية وا ٍيديولوجيتها التي ظلت قابعة في الفكر الغربي أن الدراسات في هذا المجال جاءت متعددة الجوانب منها التخلص من قيود الغرب الذي يقسم الحضارات وتوضيح أن الإستشراق جاء محملا بإديولوجيا حاملة

شعار التفوق الحضاري الذي امتلكته على أنه تفوق نوعي وكمي إذ وضعت نفسها في المركز والأخر في الأطراف.

ولإبراز مدى مساهمة الجزائريين في الأدب الرحلي ركزنا في بحثنا هذا على رحلة جزائرية وهي رحلة أبو القاسم سعد الله الموسومة **ب"صيف في سوف"** وقد أثار هذا البحث مجموعة من الإشكاليات أهمها إلى أي مدى ساهم هذا الأدب في التواصل بين الحضارات؟ وللإجابة على هذه الإشكالية فرضت علينا الدراسة خطة تمثلت في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة تضمنت أهم النتائج التي تم التوصل إليها تلاها ثبت للمصادر والمراجع حيث أوسمنا الفصل الأول تحت عنوان "الر حلة في البلاد العربية" تطرقنا فيه إلى مفهوم الرحلة،الدوافع ودواعي التدوين أما الفصل الثاني فكان تحت عنوان "أدب الرحلات دوره وعلاقته بأدب الإستشراق" ركزنا فيه على دور أدب الرحلات في التواصل بين الحضارات أما الفصل الثالث جاء معنون برحلة أبو القاسم سعد الله إلى وادي سوف شمل الفصل التعريف بالرحلة والرحالة والقضايا التي تناولها الرحالة في رحلته، ولدراسة موضوعنا اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي وذلك لتوضيح مرآه الرحالة في رحلته .

وتجدر بنا الإشارة إلى ذكر أهم الصعوبات التي واجهتنا أثناء إنجاز هذا العمل والتي تتمثل في قلة الدراسات التي تناولت موضوع أدب الرحلة ولاسيما أدب الرحلة الجزائري

وفي نهاية رحلتنا هذه فإن كل ما توصل إليه البحث لا يبلغ درجة الكمال ولا يخلو من العلل بل هو عمل قابل للزيادة والنقص في ضوء ما يستجد من أحكام وآراء

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتوجه للمولى بالدعاء أن نكون قد وفقنا فيما قدمنا في هذا البحث.

الفصل الأول

الفصل الأول

الرحلة في البلاد العربية

تمهيد

المبحث الأول: مفهوم أدب الرحلات

1/ماهية أدب الرحلة

2/أقسام أدب الرحلة

المبحث الثاني:دواعي تدوين الرحلة ودوافعها وقيمتها الأدبية

1/دوافع ودواعي تدوين الرحلة

2/قيمة أدب الرحلة

تمهيد

"أدب الرحلات من الفنون الأدبية التي شاعت لدى العرب عند القديم وهو فن له خصائصه المعينة بل إنه كما يقول **شوقي ضيف** يرفع التهمة التي ترى الأدب العربي لم يعالج فن القصة[1] لأن الحديث عن الأمم والبلدان ووصف المجتمعات التي يمر بها الرحالة أو يقصدها إنما هو بصورة ما لون من ألوان القص والواقع أن هذا الفن موغل في القدم،عرف قبل العرب الذين جابو الآفاق، واشتهر منهم كثيرون مشرقا ومغربا أمثال ابن جبير وابن بطوطة وغيرهم"[2].

كما أن "أدب الرحلة من المصطلحات التي يصعب أن نجد لها تعريفا جامعا، مانعا ولكن لا يمكن القول أن الرحلة جنس من الأجناس يتميز بنمطه الخاص في الكتابة المعتمد على عناصر التشويق في الحكي والجنوح إلى الغرابة والارتجال ذهنيا أو فعليا، والنص الرحلي ينتمي إلى التراث النثري العربي بشكل عام باعتباره سردا ووصفا يعتمد إلى رؤية صياغية ومشاهد رؤيوية أو مروية أو حلمية تتجذر من جذور ذات الذاكرة في الوقت المادي في بعض الحالات، وتنطلق من كونها أشكالا تعبيرية استطاعت من خلال التراكم الذي استدعته الضرورة الثقافية والتاريخية أن تؤسس بناء وصوغ مستقلين ومتفاعلين داخل منظومة النصوص السردية الغربية، واستقلالا إيجابيا على أشكال أدبية أخرى[3].

---

[1] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، (د ط) الدار العربية للكتاب (د.ت) ص18.

[2] د/عبد الله ركيبي تطور النثر الجزائري الحديث، (د ط)المؤسسة الوطنية للكتاب، الدار العربية للكتاب 1912، ص43.

[3] عائشة ولجي بلاغة الخطاب السردي في رحلة الورتيلاني رسالة ماجيستار في أدب الرحلات، جامعة منتوري، قسنطينة 2005-2006، ص25.

المبحث الأول:مفهوم أدب الرحلات

1-ماهية أدب الرحلة

لقد عمدنا إلى البحث عن دلالة كلمة "رحل" في بعض المعاجم العربية واللافت للنظر أن دلالة هذه الكلمة تكاد تكون متشابهة عند المعجمين العرب وهذا ما سنحاول توضيحه ولتعريف الرحلة سنبدأ بالمعنى اللغوي لكلمة رحل.

1-1 المعنى اللغوي: جاء لسان العرب"لابن المنظور" أن الرحلة مركب البعير والناقة وجمعه أرحل ورحال والرحل في غير هذا منزل الرجل ومسكنه وبيته وانتهينا إلى رحالنا أي منازلنا،ورحل البعير يرحله رحلا فهو مرحول[1].

وفي معجم مقابس اللغة "لابن فارس": رحل، الراء والحاء واللام[2] أصل واحد يدل على مضي في السفر ويقال رحل، يرحل، رحلة ....و الرحلة والارتحال ورحله إذ أضعنه من مكانه ومعنى هذا أن كل كلمة اجتمعت فيها هذه الحروف لم يخرج معناها عن الحركة والسير والانتقال ونجد في كلامه هذا اتفاقا مع ما قاله ابن منظور ويشير "الفيروزبادي" في قاموس المحيط إلى دلالة الرحلة بقوله ارتحل البعير سار ومضى والقوم عن المكان انتقلوا[3].

و من هنا نستشف أن دلالة كلمة رحل تلخصت في لغة العرب في السير والانتقال و الحركة، وتجدر بنا الإشارة إلى أن القرآن الكريم حفل بالعديد من الأمثلة التي تشير إلى هذه المعاني على الرغم من عدم ورود لفظة رحلة إلا في قوله عز وجل "لإيلا في قريش إلا فيهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من

[1] ابن منظور، لسان العرب ،ج11، دار مادر، بيروت طلعة 1994، ص 276.

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة المجلد الثاني، دار الجيل، بيروت ص446.

[3] الفير زبادي قاموس المحيط، ج3، دار الأحياء للكتب العربية، بيروت 1985، ص394.

خوف"[1] ففي هذه الصورة ارتبطت الرحلة بالتجارة والتي كان يقوم بها أهل مكة صيفا إلى اليمن وشتاءا إلى الشام.

كما ورد لفظ رحل في الكتاب المنزه ولكن بمعنى البعير الراحلة في قوله جل وعلى:"فلما جهزهم بجهازه جعل السقاية في رحل أخيه، ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون"[2]

1-2 المعنى الاصطلاحي: تعددت مفاهيم الرحلة في الاصطلاح، إلا أنها تصب كلها في قالب واحد يمكن القول بأنه فن التعبير عن مشاعر تختلج في نفس الأدب المغترب اتجاه كل ما يراه ويعايشه يحكي من خلاله أحداث سفره وما شاهده وما عايشه بأسلوب أدبي يغري القارئ بمواصلة القراءة.

فالرحلة إذا هي انتقال من مكان لآخر وهو المعنى الأول، أما الثاني هو أن الرحلة كتابة وخطاب وهو المعنى الذي يهم الباحثين[3].

"خطاب الرحلة هو التسمية التي أطلقها سعيد يقطين على المعنى الثاني لكلمة رحلة ويعرفه بأنه: "عملية تلفيظ لفعل الرحلة بينما المعنى الأول للرحلة ذاتها ولهذا يتحدث عن الرحلة وخطابها، ويرى أن خطاب الرحلة يتماشى مع الرحلة وعوالمها، ويسعى إلى مواكبتها من البداية إلى النهاية[4].

---

[1] سورة قريش، من الآية 1 إلى 4.

[2] سورة يس، الآية 70.

[3] محمد حاتمي في الخطاب الرخلي مقالة منشورة إلكترونيا.

[4] خطاب الرحلة في الأدب العربي ومكوناته النبوية، مجلة علامات في النقد، النادي العربي، جدة، ج 9.م3. سبتمبر 1993، ص 1654.

ويرى الشيخ حسين العطار في الرحلة فرصة لمشاهدة عجائب الدنيا، ومحكما أساسيا لتجارب الإنسان ومعلوماته[1] والرحلة وسيلة هامة لاكتشاف العالم والانسان، وتوسيع لخبرات الرحالة ومعارفه، وفي هذا المضمون يقول الفيلسوف الانجليزي "فرانسيس بيكون": "إن السفر تعليم للصغير وخبرة للكبير"[2].

من خلال تحديدنا مفهوم الرحلة، في اللغة وفي الاصطلاح تبين لنا أن المفهومين لا يبتعدان كثيرا، فهما يشتركان في معنى واحد وهو الحركة، وهذه الحركة يحقق منها الانسان فوائد عدة، فالشخص الذي يبقى في مكانه لا يتحرك"،ولقد أشار إلى ذلك المسعودي، ليس من لزم وطنه وقنع بما نمي إليه من الأخبار عن إقليمه كمن قسم عمره إلى قطع الأقطار ووزع أيامه بين نفاذ الأسفار واستخراج كل دقيق من معدنها إنارة كل نفس من مكتمه[3].

1-3- الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية

إن الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد ارتبطت بدوافع نفعية كثيرة مثل التجارة والبحث في سبل آمنة للعيش أو مشاهدة آيات الله في الأرض، والتدبر فيما تم تبليغها للآخرين ممن حرموا نعمة مشاهدتها وكذلك القيام بالحج والعمرة وطلب العلم من متابعته وأصوله في سبيل الله ونصرة دينه[4].

---

[1] حسين محمد فهيم، أدب الرحلات سلسلة عالم المعرفة، رقم 138، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989 ص 19.

[2] المرجع نفسه ص20.

[3] المسعودي أبو الحسين مروج الذهب والمعادن الجوهر ج1 تقديم محمد السويدي، موفر النشر د.ط الجزائر 1989، ص 3.

[4] سميرة أنساعد الرحلة إلى المشرق للنشر والتوزيع،ط1 القاهرة، 2006 ص61.

إذ ورد لفظ **رحلة**في القرآن الكريم مرة و احدة _كما سبق ذكرها_إلا أن المفردات الدالة على الحركة والانتقال كثيرة ومتعددة نذكر منها (الظغن،الهجر،السفر،الإسراء،الحج)[1]

فمثلا لفظتي الظغن:وردت في مرة واحدة لقوله تعالى في سورة النحل لقوله عز وجل في سورة النحل :"والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم إقامتكم ومن أصوافها و أوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين"[2].

أما إذا عرجنا إلى السنة النبوية الشريفة نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يشجع أصحابه على الرحلة ويحثهم عليها بغية طلب العلم ونشر الإسلام وكذا التأمل في هذا الكون والتدبر في آيات الله تعالى وكشف كنوزه ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي يحث فيها على الرحلة لطلب العلم نذكر:عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صل الله عليه وسلم:"....من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة"[3].

ومن خلال تحديدنا مفهوم الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تبين أن هذا النشاط قد اقترن بدو افع نفعية كثيرة مثل التجارة و البحث عن سبل للعيش ومشاهدة آيات الله في الأرض والتدبر فيها ثم تبليغها للآخرين ممن حرموا نغمة مشاهدتها وكذلك القيام بالحج والعمرة وطلب العلم من متابعه وأصوله، أو الجهاد في سبيل الله ونصرة دينه.

[1] المرجع نفسه، ص 17.

[2] سورة النحل الآية 80.

[3] محي الدين أبي زكريا بن شرف النووي صحيح مسلم بشرح النووي محمد سيد عبد رب الرسول ج 17-18 مكتبة ابو بكر الصديق للنشر والتوزيع، ط1 القاهرة،2006 ص21.

2-أقسام أدب الرحلة

يمكن أن نقسم أدب الرحلات إلى قسمين:

-القسم الأول:رحلة واقعية، رحلة خيالية.

-القسم الثاني:رحلة شعرية، رحلة نثرية.

2-1 الرحلة الواقعية والرحلة الخيالية :نعني بها الرحلة التي قام بها الرحالة حقيقة أي أنها وقعت "ضمن زمان ومكان جغرافي آخر"[1] وفي هذا النوع الذي يخضع للدراسة في حين الرحلة الخيالية هي من صنع خيال الكاتب، تحدث ضمن زمان ومكان متخيلين يقوم بها الإنسان في مناطق غير حقيقية وتصور ومغامرات خارقة بقصد التسلية، وا ٍثارة الخيال مثل ذلك السندباد البحري[2]وا ٍذا كان الرحالة في الرحلة الخيالية يرحل بعقله وقلمه لا بجسده، فبهذه ذهب بعض الدارسين إلى القول بضرورة اخراج هذا النوع من أدب الرحلة إدراجه ضمن فن القصة لطغيان عنصر الخيال وحده لا يكفي، لأن هناك عناصر أخرى لابد من توفرها و إذا كان الرحالة في الرحلة الواقعية ينقل لنا مشاهده في البلاد التي زارها بدقة، كونه تنقل بجسده حقا فيها، فإنه في الرحلة الخيالية يطلق أفكاره ومشاعره لتنقله بعيدا واقعه وعالمه إلى أماكن أخرى وأزمنة متباعدة.

"فالرحلة المتخيلة أو الخيالية لا تأسس فعليا في الوجود الفيزيقي، أو تتطلب معيشة على المستوى الواقعي، وأخرى ذهنية تؤسس لعالم المتخيل يجنح إلى صوغ أفكار وتأملات معينة تتماشى مع المثالية والعديد من المقولات والتصورات الصوفية والفلسفية والدينية

[1] ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع ص 92.

[2] محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط دمشق 2002، ص 23.

التي ترسم رحلة النفس في بحثها عن عالم آخر يكون بديلا عن الواقع، وصولا إلى المطلق واليقين والحقيقة والمعرفة الخالصة للتطهير"[1].

لأن الرحالة يقول شوقي ضيف:"الانسان ولد راحلا وا ٍن أعجزته الرحلة تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال[2].

فالرحالة لما يسرد الأحداث يمزج لنا الواقع بالخيال وبعبارة أخرى إنه يتخذ أساسا من الواقع ثم يدير حوله وقائع مبتكرة، كما فعل القصاصون الشعبيون مع رحلتي الإسراء والمعراج[3].

يرى الدكتور شعيب حليفي أن هناك نوعين من الرحلات المتخيلة في الأدب العربي، وهما يستندان في اختلافهما إلى مكون الفضاء بصفة أساسية، فمكون الز من وهذين النوعين من الرحلات هما:

2-1-1 رحلات دنيوية :وهي النصوص الرحلية التي يتم رسم أحداثها ووقائعها في الدنيا داخل فضاء يكون معروفا أو مرموزا إليه في العالم الواقعي الأرضي في الأزمنة الثلاثة بحيث ينصب التركيز فيها(الرحلات الدنيوية الزمنية)في الماضي والحاضر على مكون الزمن باعتباره البؤرة التي تحرك النص الرحلي.

2-1-2 رحلات أخروية:"تضم الرحلات إلى الآخرة عوالم تخيلية مرتبطة بجنوح رسم عوالم الغيب، وتخيل وقائع يوم القيامة وتصورها يحدث في الجنة، والجحيم بأسلوب ترهيبي وترغيبي وهذا ما قام به العديد من الفقهاء في إطار ما يسمى بأدب القيامة، ولعل

---

[1] الرحلة في الأدب العربي التجنس آليات الكتابة، خطاب المتخيل، ص 158.

[2] شوقي ضيف الرحلات، دار المعارف ط4، القاهرة، د.ت، ص7.

[3] حسين نصار، أدب الرحلة، دار المعرفة، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، القاهرة 1991، ص 162.

كتاب التوهم للمحاسبي يبقى النص الذي يمكن اعتباره أنضج من غيره من النصوص التي تناولت الآخرة ارتحالا تخيليا إليها فقد اختارت قيمة مغايرة تميزها عن كل ما كتب، وهي تخيل ما يقع يوم الآخرة من محاكاة للشعراء والأدباء"[1] وهو ما تلمسه في التراث العربي عند "أبي العلاء المعري" في رسالة الغفران وهو ما يقابله عند الغرب "الفردوس المفقود لدانتي فالرحلة المتخيلة جزء من نصوص الرحلة عموما، يسودها جو عام فحواه البحث عن الأنا في الآخر والغير، كذا التطهر والخلاص للوصول إلى بديل هو يقين ما استحال وجوده في الواقع العيني، فتم طلبه باللجوء إليه في الحلم والتوهم"[2] ويعد أندري جيد واحد من هؤلاء الذي انطلق "من عالم الواقع وانتقى منه الانطباعات المؤثرة القوية ومزج ذلك بخياله الخصب الخلاق فأخرج لنا تركيبا رائعا تتحد فيه روحه بالعالم وتطغى عليه حياة جياشة بفضل ذاتيتها المتدفقة"[3] ليخرج لنا عملا رائعا ينتقل فيه من مستوى الحقيقة إلى المستوى الأدبي "الخيال".

2-2 الرحلة النثرية والرحلة الشعرية: كما أسلفنا الذكر بأن أدب الرحلة هو ذلك الفن النثري الذي يتخذ الرحلة موضوعا له، لكن لا يجب اغفال وجود رحلات شعرية كان لها صدى كذلكوا إقبالا على الدراسة من قبل الدارسين والباحثين.

ولقد حاول أبو القاسم سعد الله الوقوف عند بعض هذه الرحلات الشعرية الجزائرية سواء المكتوبة لغة فصيحة أو المكتوبة بالغة العامية.

---

[1] شعيب حليفي الرحلة في الأدب العربي، (التجنس ، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)، ص 162.

[2] المرجع نفسه، ص 165.

[3] أندري جيد، رحالة فرمس تعددت رحلاته وكثرت خاصة اتجاه شمال إفريقيا خلال الفترة الممتدة ما بين (1893 -1951).

2-2-1 الرحلات النثرية :يؤكد أبو القاسم سعد الله على أن "تكون الرحلات نثرية يتحدث فيها أصحابها عن مشاهداتهم، وملاحظاتهم بلغة واقعية أو قريبة من الواقع[1]. وهي تعتبر _الرحلات النثرية_الأكثر شيوعا بالجزائر، ولم تكن تتكلم عن المسائل العلمية والشيوخ، وأهل العلم فحسب بل جمعت في طياتها العديد من المسائل والمواضيع

ومن الرحلات النثرية التي ذاع صيتها رحلة أجمد بن عمار "**تحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب**" وهي ثلاثة أقسام يقول: "ورتبناها على مقدمة وخاتمة، وعرض مقصود وخاتمة فأما المقدمة ففي ذكر ما انتجه العزم، وتقدم على الارتحال وأما الغرض المقصود ففي ما يحدثه السفر إلى الإياب، وحط الرحال، أما الخاتمة ففي ما نشأ عن ذلك بعد السكون وانظم إليه"[2].

كذا نذكر رحلة الأمير عبد القادر إلى الحجاز التي تضمنت سيرته الذاتية في كتابه "**مذكرات الأمير عبد القادر الجزائري**" الذي ذكر فيها بأنه جال في عدة بلدان كما تحدث فيها عن زياراته للأولياء الصالحين والأضرحة والتقائه ومجالسته للعلماء.

2-2-2 الرحلات الشعريةوهي رحلات قام بها أصحابها بتدوينها أو بنظمها شعر ا ومن أمثلة الرحلات الشعرية رحلة محمد ابن المسايب التلمساني من تلمسان إلى مكة المكرمة اعراجا على المدينة كذلك رحلة عثمان بن سعيد بن عبد الله المنداسي بالمغرب الأقصى بعد عودته من الحجاز، تتضمن مدحا للرسول صلى الله عليه وسلم، ووصفا للبقاع المقدسة وآثار الحجاز ومنازله.....

[1] ابو القاسم سعد الله، آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر، الغرب الإسلامي، ط2 بيروت ص 178.

[2] ابن عمار أحمد نبذة من الكتاب المسمى نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة بيرفنونتانة، الجزائر 1902 ص3.

ومن الرحلات الشعرية كذلك والمكتوبة باللغة الفصيحة قصيدة بن محمد بن منصور العامري التلمساني (ق18) وقصيدة أخرى تندرج ضمن الشعر الملحون هي لمحمد مسائب التلمساني"[1]، كما عرف التراث الرحلي رحلات شعرية خالصة التقطت موضوع السفر والتعبير عنه شعرا فقد دون أحد الملاحين المعروف بتجارته البحرية في مصنف ضخم سماه "**الأرجوازية الحجازية**" وقد ضم أكثر من ألف بيت ووصف فيها الملاحة على سواحل البحر في القرن التاسع هجري أما ابنة أحمد بن ماجد فقد صنف ألفية أخرى ومجموعة من المنظومات غيرها، دعاها بالأراجيز[2]،وهناك أيضا قصيدة في وصف الحج مدونة باللغة الإسبانية بحروف عربية لأجد الموكيسين عثر عليها مخطوطة بإسبانيا وهي بعنوان قصيدة الحاج القادم من بوي منشون[3].

المبحث الثاني:دواعي تدوين الرحلة ودوافعها وقيمتها الأدبية

1-دوافع ودواعي تدوين الرحلة

الرحلة سلوك ملازم للإنسان منذ أن وجد رغم تباين الدوافع وتعدد الحاجات التي يمكن ارجاعها إلى الرغبة في اكتشافات المجهول والتعامل معه بما تيسر من وسائل وا ٍذا حاولنا الاطلاع على دوافع الرحلة نجدها كثيرة ومتنوعة فلكل رحالة دافع حفزه للقيام برحلته، والذي يختلف عن دافع رحالة آخر.

[1] ينظر أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي (1830.1500) ج2 دار الغرب الإسلامي ط1، بيروت 1998 ص 388 وما بعدها.

[2] حسين نصار أدب الرحلة- القاهرة- مكتبة لبنان، لونجمان، ط1، 1991، ص 101.

[3] شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي (التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل ص129).

1-1 دوافع تدوين الرحلة:

1-1-1 الضرورة: تعد الضرورة واحدة من الدوافع الحتمية التي تدفع الرحالة إلى القيام بهذا النشاط خاصة إذا تعرض لعارض يدفعه لهجر وطنه فيغادر بحثا عن الكلأ والماء وهربا من مصيبة كظلم حاكم أو أمير أو يأس من المجتمع وما قد حل به من حروب ونزاعات محلية وظروف اجتماعية قاسية وويلات ونكبات[1] فكانت الرحلة احدى السبل الضرورية التي يسلكها الانسان انقاذا لنفسه ونجاة من المكائد.

1-1-2 الدافع الديني: وتعد من العوامل الأساسية والقوية التي تدفع بالرحالة إلى شد رحاله نحو المشرق الإسلامي لأداء مناسك الحج وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين وقبور الأنبياء والصحابة والأولياء في كل من بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها، ويعد هذا العامل من أقوى البواعث على الرحلة فهو مبعث الحنين[2].

وكان للحكام والأمراء الفضل في تسيير الرحلة إلى الحجاز لكل الحجاج من الغرب والشرق ويقول محمد حسين فهيم حول هذا المضمون مجمد الصياد "إن الحجاج كانوا يجتمعون في قوافل تبدأ صغيرة ثم تنمو كلها تقدم بها الطريق مما ينظم إليها من وفود، حتى في النهاية للعراق حجيجه، والشام حجيجه لإفريقيا حاجها وتسير القافلة في ألفة ونظام وتعاطف شامل يحميها جنود الحكام ويرحب بها سكان المدن والقرى ورجال الدين[3]

1-1-3 الدافع العلمي :كانت الرحلة احدى السبل التي لجأ إليها الرحالة بغية طلب علم وملاقاة العلماء والفقهاء ومحاورتهم والاستفادة منهم بل إن هناك "من العلوم الإسلامية ما

---

[1] نوال عبد الرحمان شوابكة أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري دار المأمون للنشر والتوزيع ط1، ع.،2008 ص21.

[2] المرجع نفسه ص27.

[3] حسين محمد فهيم أدب الرحلات ص 90.

يرتبط بالرحلة ارتباطا عضويا لا انفصام له مثل الجغرافيا ولذلك نجد الجغرافيين المسلمين من الرحالة[1].

أول من حقق هذا النوع من الرحلات النبي موسى عليه السلام بأمر من الله تعالى وتوجيهه مثلما حث الدين الإسلامي على هذا النوع من الرحلة إذ قال الله تعالى "فلولا نضر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون"[2].

1-1-4 الدافع الاقتصادي: عرف الإنسان الرحلة قديما، وكان من بين أهدافها التجارة سعيا لطلب الرزق بحكم الموقع الإستراتيجي للوطن العربي، الذي يتوسط قارات العالم القديم كان مركزا للالتقاء الطرق التجارية بين هذه القارات، كما أن انفصال الماء وتداخله في اليابسة في المنطقة العربية جعلها تحتل موقعا تجاريا هاما[3].

فالتجارة كانت من أهم الدوافع التي دفعت الرحالة إلى تدوين رحلته حتى يعين القارئ إلى معر فة طرق التجارة البرية والبحرية ولعل أول ما ارتبطت به الرحلات، علم تقويم البلدان والمسالك والممالك لوصف الطرق، المناخ، والعديد من الأمور الأخرى وذلك لمعرفة الطرق إلى مكة للقيام بفريضة الحج وتسهيل عملية التجارة في مختلف البلدان، والبقاع وكانت التجارة في موسم الحج ضرورة من ضرورات الحاج والمسافر، إذ لابد من الحصول على موارد مالية لتغطية نفقات الرحلة[4].

---

[1] حسين نصار، أدب الرحلة، دار نوبار للطباعة الشركة المصرية العالمية للنشر ط1، القاهرة، 1991، ص32.

[2] سورة التوبة، الآية 122.

[3] نوال عبد الرحمان شوابكة أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص49.

[4] نوال عبد الرحمان شوابكة أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري،ص49.

1-1-5 الدافع السياسي والثقافي: وتتمثل في الوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات أو المناقشة شؤون الحرب والسلام أو تمهيد لفتح أو غزو أما ثقافي فيكون لمعرفة الجديد من الخلق والطبيعة واكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع، وقد يكون هربا من الغلاء وسعيا وراء الرخص والوفرة أو العمل.

1-1-6 دافع الصحة: تتمثل في السفر للعلاج أو الاستشفاء أو راحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر كالارتجال في بلد ما وقد يكون هربا من وباء أو طاعون أو تلوث[1]وا إلى جانب هذه الدوافع الرئيسة للرحلة هناك دوافع أخرى تجعل الرحالة يغادر أهله ووطنه لينتقل إلى بلد آخر قصد الإطلاع على المجهول من جهة ومن جهة أخرى ليكون بذلك العامل سياحيا "وهكذا جاءت بعض الرحلات لجلب الآفاق والسعي إلى ارتياد البعيد وامتطاء أجنحة الرياح حبا في المغامرة والترويح عن النفس، وقد امتدت الرحلة لتتجاوز ركب الحجاج أو المهام الرسمية، أو طلب العلم فينتهز الرحالة الفرصة للمغامرة والاستكشاف والشوق إلى المجهول ليجول في البلاد، يريد أن يرى كل شيء وأن يجرب كل شيء"[2].

1-2 دواعي تدوين الرحلة:

-تلبية طلب الآخرين من حكام وأصدقاء أو أقرباء بتدوين الرحلة.

-إفادة القراء بتقديم معلومات عن المعارف والعلوم، التعريف بالأعلام وبمؤلفاتهم وكذا تعيين مناسك الحج والعمرة.

[1] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، (د ط) الدار العربية للكتاب، ص 20.

[2] نوال عبد الرحمان شوابكة أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص195.

-التعريف بالبلدان ووصف الطرق والمسالك مواطن المياه والأسواق وتبيين مواقع الفطر والمشقة حتى لا يقع فيها الآخرون.

-ذكر أخبار الامم والأقوام والجماعات البشرية، ماضيا وحاضرا، و عرض محاسنها ومساوئها، طرق عيشها، طقوسها الدينية.

-التأريخ للأحداث المتنوعة، وتقديم معلومات موجزة أو مفصلة عن الأحوال السياسية و الاجتماعية و الإقتصادية للبلدان مقصودة الزيارة.

-دعوة الرحالة مواطناه إلى التغيير من أحوالهم، وتوعيتهم و يقترن هذا الدافع مع الرحلات الحديثة والتي عايشت الاحتلال والجمود الفكري.

-رغبة المشاركة في أدب الرحلات عند الرحالة وتدوين أخبار رحلته على منوال أمثال المسعودي والمقدسي، ابن جبير، ابن بطوطة وغيره من الرحالين وتختم الدكتورة أنساعد دواعي تدوين الرحلات بالداعي الثاني وهو سبب ذاتي ورغبة الرحالة في نيل الثواب من الله تعالى بتحقيق الدوافع السابقة وحصوله على البركة والخير بذكر الأماكن المقدسة من الحجاز الشريف وأهله الأبر ار وكل ما يتعلق بالدين الإسلامي[1].

2-قيمة أدب الرحلة

زخرت الرحلة بمؤلفات عدة منذ القرن الثالث للهجرة إلى يومنا هذا، ولعل ما يميز هذه المؤلفات هو ذلك التباين الموجود بينها على مر العصور، إذ أن هناك مؤلفات ذات طابع علمي يهدف من خلالها أصحابها تصوير الواقع كما هو اعتمادا على مشاهداتهم دون إضفاء الجانب الفني البلاغي، في حين نجد مؤلفات أخرى تعني برصد الواقع ونقل الصور والمشاهد على نجو يحقق التأثير الوجداني، أو ينقل الأحاسيس والعواطف الذي

[1] سميرة أنساعد الرحلة إلى المشرق للنشر والتوزيع، ط1 القاهرة، 2006 ص 35-36.

يجدها في نفسه من يتجلى تلك المشاهد والآثار والصور وهذا البعد هو الذي يملأ النفس متعة وتأثيرا، ويجعل للرحلة سمة أدبية بدلا من أن نقف عند حد التسجيل والتدوين[1] ويمكن تحديد قيمتين أساسيتين لأدب الرحلة وهما القيمة العلمية والقيمة الأدبية:

2-1 القيمة العلمية: تتجلى هذه القيمة في تلك المعلومات تقدمها في مختلف الاختصاصات التاريخية، الجغرافية، الاجتماعية والاقتصادية من وصف للمسالك والعمران ونمط المعيشة من عادات وتقاليد، "ليكون أدب الرحلة بمثابة مدونة يلجأ إليها الكثير من الدارسين لاستخلاص العديد من المعارف بكل اطمئنان وارتياحية ففي مجال التاريخ مثلا تقدم الرحلات معلومات لم يقدمها لنا العالم المختص في هذا المجال، فهي تنقل الاختصاص بواقعية وبكيفية حية فإذا كان التاريخ يعمل على وصف واستقصاء حياة البلدان وتاريخها بمختلف مظاهرها (السياسية-الاجتماعية-الاقتصادية والثقافية)"فإن الرحلات أعطت كل ذلك بعده المناسب وتطرقت إلى تحليل جوانب لم يتطرق إلى تحليلها الوثائق التاريخية فقامت الرحلات بوضع كل ذلك في دائرة الاشعاع التي توجه إليها لاستجلاء الواقع وا إخراج التاريخ عن حدوده الضيقة[2].

ومن بين الاحداث التاريخية التي تعرض لها الرحالون بوضوح مجيء سيف الاسلام ابن أيوب شقيق صلاح الدين الأيوبي، فقد أشار ابن جبير أثناء إقامته في مكة المكرمة، إلى قدومه إلى الحجاز في طريقه إلى اليمن على أثر خلاف وقفته بين حكامها[3] إلى جانب الأهمية الأخرى "وتتجلى في تلك المعلومات التي تقدمها في مختلف الاختصاصات التاريخية والجغرافية والاجتماعية، الاقتصادية التي تتجلى لنا من خلال مصنفات الرحالين

[1] سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا ص7.

[2] نوال عبد الرحمان شوابكة أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص52.

[3] رحلة ابن جبير ص117.

العرب الأوائل، فتتضم بذلك إلى التراث العربي الجغرافي والتاريخي، بما ساهمت به من مادة غزيرة وقيمة كانت نتاج نظير ومعان واستقصاء وقراءة من قبل العلماء الرحالين أمثال عبد الله المقدسي (ت 39هـ) ومحمد الإدريسي(ت 62هـ) وأبي الحسن المسعودي "ويرجع محمد الخضر حسين[1] الفضل لكتب الرحلة، "في أنها حفظت لنا جانبا عظيما من التاريخ، أودعت تلك الكتب الكثير مما شاهده مؤلفها، من أحوال الدول ووقائعها كما أنها ساهمت في توطيد الصلات بين الشعوب وحصول تعارف بينهما"[2].

وللإدريسي فضل في تطور منهج الوصف الجغرافي، ورسم الخرائط حتى إن أجد الدارسين، وهو صلاح الشابي صاحب كتاب **الاسلام والفكر الجغرافي** جعله أعظم جغرافي في العصور الوسطى على الاطلاق كما نعتت دائرة المعارف الإسلامية كتاب الإدريسي "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" بأنه "أعظم وثيقة علمية في العصور الوسطى" فشهدت الجغرافيا العربية ازدهار ا كبيرا بفضل مساهمات الرحالين العرب الأوائل كابن حوقل، وابن الفقيه واليعقوبي وغيرهم من الجغرافيين الرحالين.

ميزت هذه القيمة العلمية أدب الرحلة ذلك أن أصحابها شهود عيان لمختلف الأحوال والأوضاع، حيث ازداد الاهتمام بهذا الفن مما أدى إلى ازدهاره، فالرحالة يجرون استعمال الأسلوب العلمي في تدوين رحلاتهم وبذلك فهو يعكس لنا ما وصلوا إليه من علم غزير

[1] سميرة انساعد، الرحلة الى المشرق في الادب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية –دار الهدى، عين مليلة– الجزائر 2009، ص 37.

[2] فؤاد قنديل، أدب الرحلات في التراث العربي ،مكتبة الدار العربية ، القاهرة ط 2، 2002، ص344.

وسعة فهم مع حرصهم على تدوين ملاحظاتهم أولا بأول ومن لم يتسن له ذلك قام بتدوين رحلته عقب عودته إلى بلاده والتزام جانب الدقة، وقوة الملاحظة في كل صغيرة وكبيرة[1]"

والرحالة المجتهد لا ينزل بوطن :"إلا إلتقى بطائفة من فضلائه، والشأن أن يصف لهم بعض النواحي من حياة قومه العلمية والاجتماعية، ثم إذا عاد إلى وطنه وصف لهم حال الأوطان التي نزل بها فيكون كل من الشعوب التي رحل منها وأنزل بها على خبرة من حال الشعوب الأخرى"[2].

أما بالنسبة للجانب الجغرافي فإذا كان الرحالة يدون مشاهدته على سطح الأرض إنما يعمل في خدمة علم الجغرافيا "فهو عندما يصف الممالك والبلدان، الأوضاع، الأقاليم والمدن والمسالك وعندما يتحدث عن الطبيعة والمناخ وظاهرة توزيع السكان وغير ذلك مما يعد من صميم الدراسات الجغرافية إنما يعتبر من هذه الناحية مرجعا أساسيا بالنسبة لمن يتناول هذه الموضوعات بالدراسة".

ففي مؤلفات أدب الرحلة العربي نجد أن القيمة العلمية تتجلى بشكل واضح كما هو الحال في رحلات المقدسي والبيروني إذ "لم يكن هدفهم الرئيس الرحلة في حد ذاتها قدر اهتمامهم بوضح مؤلف في تقويم البلدان، كما فعل المقدسي مثلا "أو وصف حضارة غير إسلامية كما جاء في دراسة البيروني الثقافة الهندية إننا نرى في هذه الأعمال وما قدمت من مادة نثرية، دليلا بارزا على قيمة رحلاتهم في تزويدهم مباشرة بالمعلومات المستمدة

[1] عواطف محمد يونس تواب، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرحلات المغربية والاندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجري، دراسة تحليلة مقارنة، د.ط الرياض 1996 ص 88.

[2] سميرة أنساعد الرحلة إلى المشرق للنشر والتوزيع ص38.

من الملاحظات المباشرة والمعاينة الشخصية عن الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية للبلدان التي زارها أو أقاموا فيها"[1].

2-2 القيمة الأدبية: إذا كان أدب الرحلة فن أدبي يحمل فائدة للمؤرخ والجغرافي وعالم الاجتماع "فإنه يحفل كذلك بكثير من الأساطير والخرافات وبعض المحسنات البلاغية، وجمال اللفظ، وحسن التعبير، وارتقاء الوصف، وبلوغه حدا كبيرا من الدقة علاوة على ما يستعين به أحيانا من أسلوب قصصي سلس مشوق، وهذا هو الذي يجعل بعض الدارسين يدخلون أدبيات الرحلات ضمن فنون الأدب العربي"[2].

فإن أدبية الرحلة تتجلى في عدة مواضع وذلك من خلال تلك الأساليب الفنية التي تقدم فيها موادها لترتفع بها إلى عالم الأدب وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني[3].

فمن الناحية الأسلوبية نجد أن أدب الرحلة يتنوع أسلوبه من سرد قصصي، وحوار ووصف دقيق المشاهد المختلفة والعجيبة هذا بالإضافة إلى تزويد رحلته بالعديد من الظواهر البلاغية كالسجع والطباق والجناس والمقابلة...بطريقة مسترسلة دون تكلف أو مبالغة حتى لا تفقد الرحلة فحو اها.

وكثيرا ما يلجأ الرحالة إلى التصوير، "فيعمد إلى إبراز فكرته في صورة مرئية محسوسة وملموسة عن طريق تحويل غير المرئي من المعاني إلى المحسوس وتعويض الغائب إلى ضرب من الحضور..."[4].

---

[1] حسين محمد فهيم أدب الرحلات ص16.

[2] سيد حامد النساج مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، ص 8.

[3] أدب الرحلة عند العرب حسيني محمد حسين، ص8.

[4] بشري محمد صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز العربي، الدار البيضاء، بيروت.

الأمر الذي يجعل القارئ يحس وكأنه رحالا مثله يشاهد كل ذلك بعينه، طبعا كل هذا بفضل تجسد ما هو معنوي في صورة مادية حسية، ولعل هذا ما دفع شوقي ضيف إلى عد أدب الرحلة نتيجة لما تتسم به "خيرك على التهمة التي لطالما اتهم بها الأدب العربي، نقصد تهمة قصوره في فن القصة"[1].

فإن القول أن أدب الرحلة فن يقترب من فن القصة راجع بالدرجة الأولى إلى طبيعة بعض الرحالة، هؤلاء الذين جنحوا إلى سرد القصص التي عايشوها أو سمعوا بها، وكان سردهم لهذا القصص بعفوية وحيوية، قربت الرحلة من عالم القصة[2].

وا ٍلى جانب هاتين القيمتين بإمكان أدب الرحلة أن يحقق قيمة أخرى لا تقل عن القيمتين السابقتين ألا وهي القيمة التعليمية، فإن كان الرحالة يقدم لنا معلومات تاريخية جغرافية اجتماعية اقتصادية ثقافية تكون بمثابة عون لكل عالم في مجال اختصاصه من الجغرافي ومؤرخ اجتماعي...فإن هذا الرحالة يستفيد هو الاخر من هذه الرحلة إذ يتعرف على الكثير من المعلومات التي تخص البلد الذي زاره من خلال مخالطته للناس كما يستفيد من العلماء الذين جالسهم وتحاور معهم مع اكتسابه للخبرة والتجربة إذ يحصل على علم وافر وتجارب كثيرة في مختلف الميادين في التربية وأساليب التعليم والتهذيب نظرا لما يصادفه أحيانا من المصاعب وما يؤكد ذلك أن الراحل حين يعود يعمل في التدريس كما كان يكلف بالقضاء ومهام أخرى[3].

---

[1] شوقي ضيف، أدب الرحلات، ص 6.

[2] نوال عبد الرحمان شوابكة أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص36.

[3] نوال عبد الرحمان شوابكة أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص 53.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

أدب الرحلات دوره وعلاقته بأدب الإستشراق

تمهيد

المبحث الأول: دور الرحلات في الكشف عن الحضارات

1/دور أدب الرحلة في الحوار بين الثقافات

2/دور الرحلات الشرقية في الكشف عن حضارات الشرق

3/دور الرحلة العياشية في التواصل الحضاري مع الشرق

المبحث الثاني: صورة المشرق في رحلات الغربيين

1/صورة المدينة العربية في عيون الرحالة الأجانب

2/صورة المشرق عند الرحالة الإنجليز والألمان والفرنسيين

3/الاستشراق

تمهيد

ظل أدب الرحلة على مر العصور وفي جميع الثقافات جنسا أدبيا متميزا ،سواء كانت الرحلة بغرض الاستجمام أو الحج أو لمهمة رسمية أو للاستكشاف الجغرافي أو التجارة ،ويزاوج أدب الرحلة بين الحقيقة والخيال ،وبين السيرة الذاتية والأثنوغرافيا ،كما يجمع بين عدد من الحقول العلمية ،والأصناف الأدبية والأنساق الاجتماعية، وفضلا عن ذلك يتطرق أدب الرحلة لقضايا تتعلق بالسلطة، والنظرة إلى الذات وثقافة الآخر، والخيال.

ويقصد بأدب الرحلة الكتابات التي تتناول الرحلة في قالب أدبي ويتناول أدب الرحلة عادة ما يصادفه المؤلف من أشخاص وأحداث ومشاهد وما يخالجه من مشاعر أثناء ترحاله في بلد أجنبي لمجرد متعة السفر ،ويسمى العمل الأدبي الفردي في بعض الأحيان مسار الرحلة ويشترط في العمل حتى يكون عملا أدبيا أن يقدم قصة وأفكارا متماسكة وذات قيمة ،وا ٍما يقتصر على تسجيل التواريخ والأحداث ،كما لو تعلق الأمر بسجلات رحلات السفن ،"وغالبا ما يصنف الأدب الذي يروي المغامرات والاستكشافات في باب أدب الرحلة رغم أن له جنسا أدبيا خاصا به وهو ما يعرف ب"أدب المواد الطلق" (outdoor literature) والذي يضم أجناسا غالبا ما تكون متداخلة ويصعب التمييز بينها بشكل دقيق وواضح.

و يحظى أدب الرحلة اليوم بحيز مهم من الإصدارات، ومع ذلك فنادرا ما يكون توثيقا نزيها وعلميا للأوضاع التي ينقلها من بلدان أخرى.و باعتباره جنسا أدبيا فهو خاضع لقواعد معينة، وعادة ما يبحث فيه قراؤه عن الغرابة، وعن الآخر، ومكامن الاختلاف في الأماكن التي يستكشفونها في قالب أدبي.

وقد يكون أدب الرحلة أدبا عابرا للثقافات transcultural أو عابرا للحدود الوطنية transbarder، أوقد ينقل القارئ إلى مناطق مختلفة داخل البلد نفسه"[1].

المبحث الأول:دور الرحلات في الكشف عن الحضارات

1- دور أدب الرحلة في الحوار بين الثقافات

يعتبر السفر وفق معظم الأساطير والحكايات جزءا من المغامرة الانسانية ،سواء كانت رحلة الانسان لعمل خيري أو نحو أرض الميعاد **(سيدنا إبراهيم وسيدنا موسى)** ليواجه العديد من المحن قبل عودته إلى موطنه الأصلي**(أوليس)**، ويقطع المسافات طلبا للحكمة من خلال لقاءات متعددة **(بوذا)** أو يذهب إلى اكتشاف أرض مجهولة **(ابن بطوطة ،كريستوف كولومبس أو ماركوبو)**، فهو في آخر المطاف يغني تصوره للعالم ،وقد أضحى السفر في عصرنا الحاضر جزءا من حياتنا اليومية.

"ولعل أبرز نموذج ملموس للحوار بين الثقافات هو "أدب الرحلة ،ذلك أن الناس انتقلوا على مدى قرون من مكان إلى آخر إما للعمل،أو لطلب العلم، أو للتجارة أو في مهام دبلوماسية، أو لغاية الترفيه فكان التفاعل مع أشخاص آخرين من ثقافات وأجناس وعقائد مختلفة، وتتخذ هذه التفاعلات أشكالا مختلفة، فتكون عنيفة ومدمرة أو سلمية ووردية، ولا نقصد بالعنف هنا الاحتلال أو الغزو بل نعني به تصورا ثقافيا خاطئا ناجما عن نقص في التواصل بسبب الأفكار المسبقة وفي الحقيقة فإن الانسان قيد نفسه بكثير من الحواجز ولم يشيد سوى القليل من جسور التواصل واللقاء فهل كان ذلك بسبب الخوف؟ أم التفوق؟ أم الكراهية؟ أم أن السبب يكمن في كل هذه الأمور مجتمعة؟ وفي الواقع ليس ثمة إجابة جاهزة لهذه الأسئلة بل ثمة العديد من السيناريوهات..."[2].

---

[1] أدب الرحلات ودوره في تلاقح الحضارات محمد اوشتاتو ، استاذ جامعي، 2018.03.28 google ads.g.double click.net

[2] أدب الرحلات ودوره في تلاقح الحضارات محمد اوشتاتو ، استاذ جامعي، 2018.03.28 google ads.g.double click.net.

يسعى أدب الرحلة إلى تعزيز التبادل الثقافي في مجال الأدب والترجمة عبر توطيد التعاون متعدد الأطراف الذي يشمل البحث والتحليل في مجال التخطيط والمنشورات والتدريب في مجال الترجمة وتنمية المهارات

ويمكن تلخيص الأهداف الرئيسية التي يتوفى تلخيصها في مجال أدب الرحلة فيما يلي:

– تعزيز الحوار من خلال تشجيع أدب الرحلة وترجمته.

– تيسير الوصول إلى أعمال أدب الرحلة الأقل شهرة و خاصة تلك المكتوبة باللغات المستخدمة على نطاق محدود، وتلك الأعمال الأقل حضورا في الساحة الدولية.

– تشجيع المزيد من التنوع في الملتقيات الأدبية الدولية ونشر الأعمال الأدبية لفائدة جميع الفئات العمرية.

– صياغة منهجيات مبتكرة للإبداع الأدبي، وتشجيع الترجمة ودعمها وتدريب مترجمي الأعمال الأدبية العاملين باللغات الأقل استعمالا.

– تحفيز أنماط التواصل الجديدة متعددة الأطراف، وأشكال التعاون والمشاريع المبتكرة التي تمكن أدب الرحلة من التفاعل مع غيره من الأجناس الفنية، واستكشاف الدور السياسي والاجتماعي للكتابة.

–تحفيز النقاش حول القضايا ذات الصلة بالحوار بين الثقافات.

– إيجاد فرص لتبادل الأفكار ونقل المهارات والمعارف، وتبادل الخبرات والموارد بين المنظمات والمؤسسات من أجل تشجيع الحوار والتواصل بين الثقافات بأفضل السبل الممكنة.

2– دور الرحلات الغربية في الكشف عن حضارات الشرق

تعد حضارة الشرق والعراق الأدنى من بين الحضارات التي ذاع صيتها في التاريخ والأسطورة والأطلال وهي أقدم بكثير من عصر النهضة ،فقد أثارت هذه الأطلال فضول الباحثين ،وكانت المعلومات تصل عن طريق رحلات المؤرخين الإغريق ولم تكن تصل الأخبار عن التوراة وروايات الرحالة الكلاسيكيين أمثال هيرودوث، زنيغون وسترابون

وغيرهم ولهم الفصل في تعريف الغرب عن أحوال الشرق ابتداءا من القرن الثاني عشر قبل أن تبدأ التحريات و التنقيبات في القرن 19.

"وتعد رحلة السائح اليهودي بنيامين التطيلي سنة 1160 منذ أولى الرحلات ،كما تعد رحلة بولتاليدرور لنصن عام 1842 من أولى التحريات الأثرية.

كانت هذه الرحلات من أهم المصادر المعتمدة في الكشف عما يعرفه العالم اليوم عن حضارة الشرق القديمة كالآثار القديمة التي تركها أهل تلك الحضارة من نقوش فنية على أختامهم الأسطوانية وكتاباتهم على التماثيلوالألو اح الطينية، والأساطين والأوعية ناهيك عما تركوه من نصوص القوانين والشرائع والأساطير والقصص والملاحم الشعرية والتراتيل الدينية والمقالات، وقد انطلقت هذه الرحلات في منتصف القرن 16 ونشطت في القرن 17 ويمكن اعتبار المصادر الكلاسيكية لتاريخ حضارة الشرق وبلاد ما بين النهرين هي البداية الحقيقية لأدب الرحلات وبعد هيرودوث المؤرخ زيغنون الذي ترك مجموعة من أخبار العراق و الإمبراطورية الفارسية الأخمينية، ومن الرحالة اليونان المشهورين بوليبوس الذي ألف في تاريخ الرومان وذكر أحوال عالم البحر الأبيض المتوسط وأحداثه التاريخية ،وكان أول من استعمل كلمة ميزوبوكاميا **(مابين النهرين)** لإطلاقه على الجزء الشمالي من أرض الرافدين، وتجدر الإشارة كذلك إلى الجغرافي الشهير سترابون الذي اشتهر بمؤلفه عن جغرافية العالم، وصف فيه الأقاليم المعروفة أنذاك ومنها بلاد بابل آشور كما وصف أحوالها الماضية،و أسوارها المشهورة وجنائنها المعلقة التي يذكرها بالمصطلح الإغريقي ،كما دون المؤرخ الروماني كورتيوس روفس "تاريخ الإسكندر" تطرق فيه إلى وصف بابل.

وقد اشتهر المؤرخ الروماني بليني الأكبر بمؤلفاته التاريخية والجغرافية أشهرها كتابه المعنون"التأريخ الطبيعي"الذي وصف فيه جغرافية القارات المعروفة في زمنه وعادات أهلها ومواردها ووصف بعض المدن القديمة مثل "سلوكية_ارتميتا_والوركاء"

ومن كتاب الرومان أيضا أريان الذي اشتهر بمؤلفه عن حروب الإسكندر الأكبر في كتاب بعنوان "حملة الإسكندر" وجاء فيه أخبار عن بلاد بابل وبلاد الهند والإستكشافات البحرية التي قام بها قائد الإسكندر (نيرخش) في الخليج العربي والبحر الهندي بالإضافة إلى الكاتب الروماني كلوديوس ألبانوس الذي روى في جملة أخباره قصة عن البطل الشهير جلجامش وسماه "كاكاموس" إضافة إلى هذه المعلومات الواردة في كتب هؤلاء الرحالة والتي صنفت ضمن المصادر الكلاسيكية ،بدأ الغرب يتعرف على أحوال العراق وبلدان الشرق الأدنى بوجه عام.

وقد عمل رحالة 12 على نقل نماذج من آثار العراق إلى أوروبا ومن بينها الألواح الطينية المدونة بالكتابة المسمارية ،مما مهد إلى حل رموز الخط المسماري والشروع في التنقيبات الفعلية بالمنطقة ومنهم بنيامين التطيلي بن يوحنا الذي اعتبر أول سائح قد اهتم في مذكراته بالجالية اليهودية في الأقطار التي زارها خاصة العراق وعندما ترجمت رحلته إلى الفرنسية والإنجليزية أثارت اهتمام المؤرخين في أوروبا خاصة أن الأمر متعلق ببقايا مدن يعرفونها ويحنون إليها لأنهم يشعرون بالانتماء إليها ولهم فيها ذكريات (الكتاب المقدس،الأماكن المقدسة،الحملات الصليبية وما تبقى منها من آثار

أما رحلة القرن السادس عشر فكانوا من الحجاج ورجال الدين وكانت الرحلة إلى الشرق بالنسبة إليهم نوعا من التكملة للحج إلى الأراضي المقدسة ،وقد تميزت كتاباتهم بعداء شديد للمسلمين والمسيحيين حتى وصفوا بالصليبيين المتأخرين ،ولعل هذا العداء ينبع من عرقية أوروبية كاثوليكية.

فلم يكن يبالي هؤلاء الرحالة الأوائل بمخاطر البحر ومن القرصنة (من قبل قبائل سورية وفلسطين) حيث كان همهم الأساسي هو الوصول إلى القدس فقد كان المبشرون وحتى التجار والدبلوماسيين الذين يزورون الشرق يبدؤون زياراتهم بعدها ينطلقون إلى سوريا أو مصر ،وكان الانطلاق غالبا ما يكون من روما قصد الحصول على البركة الرسولية

التقليدية ،ومن مشاهير رحالة هذا القرن 16 العالم الطبيعي والطبيب الألماني راوولف الذي زار العراق في القرن 17 واستغرقت رحلته عشر سنوات من (1616_1625) وفي النصف الثاني من القرن 17 عرف أدب الرحلات انتشارا واسعا في أوروبا وخاصة فرنسا فاشتهر كل من تينينو الذي زار العراق وبغداد سنة 1664 والرحالة تافرنيه الذي وصف بغداد وكذلك بول لوكاسا الذي قام برحلة إلى مصر.

ورغم اشتهار هؤلاء الرحالة بالتجارة فإن أسلوبهم قد عرف تحسنا فيما يخص قدرتهم على التنقيب والمقارنة ،وقد طبعت الفترة الممتدة بين (1665_1745) ما يزيد عن مئة وخمسين رحلة منها على الأقل مئة رحلة جديدة

وقد حملت هذه الكتب حول بلاد الشرق والعراق، المفهوم الأوروبي للإنسان والمجتمع والدين وا إلى جانب الطرفة والمغامرة الخطرة التي كانت تطغى على كتب الرحلات نجدها قد احتوت ملاحظات حول عوائد الشعوب الشرقية و أطباعها بالإضافة إلى أوصاف الحيوان والنبات ،كذلك ظهرت المقارنات المفيدة ،وما كان بصفة الرحالة الأوائل بسرعة المتوحش والشاذ عن قوانين الطبيعة أخذ يصبح تدريجيا مدار تأمل أعمق ومقارنة بين الشعوب من هذا الاحتكاك ،بدأت تنمو أفكار التسامح التي طبعت عصر الأنوار الأوروبي

إلى هنا يمكن القول أن الرحالة الذين زاروا بلاد المشرق قد اتخذت رحلاتهم إما الطابع الديني أو السياحي أو التجاري أو العسكري ،وقد تقدمت مراحل كشف ماضي حضارة الشرق بينما أصبح المهتمون يقيمون في العراق فترات أطول مدفوعين في ذلك بالشؤون السياسية والتجارية مثلا وكلاء الشركات الأجنبية والمقيمين الممثلين لدولهم ،وشملت هذه الرغبة الرأي العام الأوروبي وخاصة انجلترا حتى أن شركة الهند الشرقية المعروفة في لندن أرسلت مقيما لها في بغداد قصد جلب الألواح والأجور المختوم بالكتابة المسمارية.

3- دور الرحلة العياشية في التواصل الحضاري مع الشرق

تعتبر الرحلة جسر التواصل مع الآخر سواء كان هذا الآخر ينتمي إلى الحضارة نفسها أو إلى حضارة مغايرة فهي وثيقة أدبية تعرض بالوصف ومعاينة أحوال المجتمعات التي ارتحل صاحب الرحلة وتكشف عن طبيعة وعي الانسان بالآخر.

إن مصطلح التواصل الحضاري ينقسم إلى شقين: الأول التواصل والذي نقصد به ربط العلاقات بين شعوب مختلفة أو بين أفراد الشعب الواحد عن طريق الحوار والثاني الحضاري وهو مقياس رقي الدولة والحضارات البشرية.

"سلسلة متصلة من الحلقات تأخذ كل واحدة منها بعضد الآخر ولا يمكن أن تنفصل هذه الحلقات وا ٍلا لوقف العلم وانتهى إلى حيث ينتهي الاتصال بينهما وذلك خلافا لما يراه شبنجلر من أن كل ثقافة في تركيب عضوي من نوع خاص لا صلة له بالثقافات التي جاءت قبله أو الثقافات التي تجيء بعده[1]"

فانفتاح الحضارة على نفسها وغيرها ينفي عنها التقوقع والتعصب، فكل حضارة تستفيد من السابقة لها، فأفراد الحضارة الإسلامية سابقا بنوا علاقتهم مع الحضارات الأخرى على أساس التعارف الذي يتضمن تجاوز الذات من أجل بناء الجسور والتواصل مع الآخرين فهذه نظرة شمولية لعملية التواصل الحضاري في إطارها العالمي وقد أعطت الحضارة الإسلامية أنموذجا من خلال انفتاحها على الحضارات المجاور.

وهذا ينبغي الإشارة إليه كنقطة مهمة وهي أن اتساع رقعة الحضارة العربية الإسلامية وخاصة في الجزء الغربي أي المغرب العربي إذ أن هذه المنطقة كانت لاحقة في الفتح الإسلامي والفاتحون الأوائل عندما جاءوا لهذه المنطقة تواصلوا مع ثقافة مختلفة وهي ثقافة السكان الأصليين الأمازيغ ،فقاموا بتعريبهم وأصبحت المنطقة فيما بعد قطبا حضاريا متميزا مما يجعل حتمية التواصل الحضاري بين المغرب والمشرق ضرورة ملحة

[1] مجلة الذاكرة تصدر عن مخبر التراث اللغوي والادبي في الجنوب الشرقي الجزائري العدد 10 يناير 2018 ص 59-60.

حتى يتسنى تذليل نقاط الاختلاف بينهما."ولا ريب أن الرحلات كانت بمثابة مصادر شاملة سجلت فيها جوانب مختلفة فيها يخص الجوانب الحضارية المختلفة على أزمنة متتالية فالرحلة تتطلب اتساع المعارف وتنوعها، وهي تستند إلى التاريخ، ورصد المظاهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية غير المألوفة ،فهي ليست أداة معرفية فحسب بل تتعداها إلى مهام حضارية[1]"

ومن النقاط التي ساهمت في التواصل الحضاري مع المشرق في الرحلة العياشية نذكر:

3-1 الفكر النقدي لدى العياشي:

أثناء اتصال العياشي بالمراكز العلمية على غرار مصر المدينة...أثار انتباهه مجموعة من السلوكيات والمعتقدات الباطلة ،فيحاول رد الأمور إلى أصحابها وخصوصا في قضايا الشريعة الإسلامية حيث يهتم بصحة الأحاديث التي من خلالها تصوب سلوكيات الناس وفقها[2].

فقد حرص على رد الكثير من المعتقدات الخاطئة والأفكار الضالة وفق منظور سني معتدل سواء ما تعلق منها بالديني أو الإجتماعي أو الاقتصادي رغبة منه في توحيد الصورة بكل موضوعية وعلى هذا الأساس لم يكن النقد الذي وجهه العياشي لأجل النقد فقط بل كان الغرض إبراز نقاط الخلل في المجتمع الإسلامي بغرض إصلاحها ،وهذا انطلاقا من رؤيته للعالم الإسلامي وكونه تحت لواء الإسلام الذي يجمع لا يفرق.

ولقد لجأ الرحالة في بعض الأحيان إلى ما يسمى بالسخرية في مقام انتقادهم للظواهر المختلفة ،أو العين الساخرة وهي"كمحسن بلاغي و استراتيجية خطابية تجعل من المحتمل أهم انشغالاتها ،وللإجابة عن كيفية تبيين المحتمل في الخطاب الساخر نشير مع سعيد

[1] مجلة الذاكرة تصدر عن مخبر التراث اللغوي والادبي في الجنوب الشرقي الجزائري العدد 10 يناير 2018، ص 60.

[2] العدد نفسه ص 61.

علوش إلى أن السخرية تتمثل في منهج جدلي يعتمد على الاستفهام بمفهومه البلاغي أو هي تعبير بلغة ذات نوع متعارض[1]".

فمثلا يوظف العياشي هذا المحسن البلاغي فيقول :حين خروجه من بلاد أو قرية "ولولا أن هذه القرية في مثل هذه المفازة ما حسن تسميتها قرية ،إذ ليس فيها إلا نخلات معدودة قد يبس أكثرها ،وبقيت جدرات تسفي عليها الرياح وحجرات من جريد النخل ،إذ لا يقدرون على وضعه على الأرض لئلا يغلب عليه الرمل فيذهب أدراج الرياح ....[2]"

فتعبيره الساخر لا يعبر عن إزدراء للمكان لكنه أسلوب يغلب عليه الطابع الأدبي المشوق ليعطي صورة عن المكان بوضوح.

3-2 النقد الاجتماعي في الرحلة العياشية كحلقة تواصل:

كان للملح الإجتماعي في الرحلة العياشية النصيب الأكبر بحكم معاشرة العياشي لسكان المشرق وأهل الحجاز خصوصا، ويورد خصائص بعض المجتمعات من خلال معاينته لها ،فيقول عن المجتمع المصري "وبالجملة فمصر أم البلاد شرقا وغربا لا تستغرب شيئا مما يحكي منها من خير أو شر ومصداق ذلك ما حدثنيه بعض أصحابنا من التجار في سنة أربعة وستين قال:لما دخلت مصر من حدود الخمسين سكنت بعض الوكائل وكان من قدر الله ان اجتمعنا في محل واحد جماعة من فلان و فلان تجار و فلان طالب علم و فلان ممن يليق إلى طريق الفقر و فلان ممن يميل إلى المجون... فيقول التاجر:ما رأينا مثل هذا البلد في التجارة فأهلها كلهم تجار ويحكى من خلال ذلك حكاية ما شاهد،

[1] مجلة الذاكرة تصدر عن مخبر التراث اللغوي والادبي في الجنوب الشرقي الجزائري العدد 10 يناير 2018، ص 60.

[2] المرجع نفسه ص 60.

ويقول الفقيه مثل ذلك والفقير مثل ذلك وذو المجون مثل ذلك، وما ذلك إلا لكثرة أجناس الناس فيها فمن طلب جنسا وجد منه فوق ما يظن ،فيظن أن أهل البلد كلهم كذلك[1]"

وقد مكث في الحجاز لفترة لا بأس بها ،وقد كان حريصا على الإشارة إلى الخلل الذي يعانيه حتى لو كان بسيطا ،وقد أورد بعض العادات الاجتماعية المستحبة لسكان الحجاز كقوله:مما أنعم الله به على أهل الحجاز هذا البن لأنهم ضعفاء وفقراء في الغالب والناس يقدمون عليهم من الأفاق و الانسان لا بد له من طعام يقدمه لمن لا دخل عليه ولا قدرة لهم على تكلف ذلك لكل جديد يدخل عليهم ..... "،هذه الملاحظة تدل على احتكاك العياشي للمجتمع الحجازي وغوصه في أعماقه

ويتحدث العياشي عن المرأة المدينية وميولها نحو البذخ والترف فيقول: "وقد أخبرت أن للنساء عليهم عادة يسمونها الشخشخة وهو ما تشتري به المرأة ما تشتهيه من الأزهار فربما بلغ ذلك ريالا كل يوم"

وهو يحب عليها إسرافها في الزينة وفي الشكليات ،ومن الآفات الاجتماعية الخطيرة التي سجلها العياشي نذكر آفة الرشوة التي وجدت في الوضع السياسي والاقتصادي

والاجتماعي الذي ساء خلال القرن الحادي عشر والتي مست جميع المهن الشرعية حيث يقول:"والحاصل أن الناصب الشرعية كلها في البلاد المشرقية والحجاز ومصرا وشاما من إمامة وخطابة وآذان وا ٍقامة وقضاء وفتوى وشهادة .....وا ٍنما تنال بالشراء من الولاة[2]"

والواقع أن رحلة العياشي تقدم فكرة واضحة عن الواقع الإجتماعي في العالم الإسلامي مشرقه ومغربه خلال القرن الحادي عشر

[1] مجلة الذاكرة تصدر عن مخبر التراث اللغوي والادبي في الجنوب الشرقي الجزائري العدد 10 يناير 2018، ص61.

[2] مجلة الذاكرة تصدر عن مخبر التراث اللغوي والادبي في الجنوب الشرقي الجزائري العدد 10 يناير 2018، ص 61.

3-3 إجازات أبي سالم العياشي ودورها في التواصل الحضاري:

كان من اهتمامات أبي سالم أن يحصل على أكبر قدر من الإجازات من العلماء و المشارقة والمغاربة ،والإجازة هي "احدى طرق التحمل والرواية عند المحدثين بين أهل العلم لذا تنوعت في معناها وأدائها باعتبارات لا تخرجها عن معنى تحمل العلم عن الشيوخ في الجملة "وهي في اصطلاح العلماء إذن المحدث للطالب بأن يروى عنه كتابا من كتب الحديث أو غيرها من دون أن يسمع منه أو يقرأ عليه وهذا أصل معناها عند الاطلاق ولا يصل طالب العلم لهذه المرتبة إلا بعد مجالسة العلماء لفترة طويلة يبث من خلالها جدارته وأحقيته بالإجازة ،فهي شهادة اعتراف بقدرة العلم والإجازة لفظا ومعنى "للحفاظ على اسناد واتصال وتسلسل رجاله والانتساب لكتب السنة وغيرها فكانت معيارا لذلك وعنوانا على الطبقات والرقي والمعاصرة وغيرها من تحاسين الرواية وأفانين الإجازة" فهي تعطي لطالب العلم الحق في الاجتهاد في المسائل الفقهية كان مما يسعى إليه طالب العلم قديما هو الإجازة ،فكانت في الصدر الأول مقرونة بالعلم حلا وترحالا فلا يذكر العلم إلا ذكرت ،ولا يعرف العالم إلا إذا عرفها ولا يعرف الحق من الباطل إلا إذا صح سندها ....."[1]

ففضلها يكمن في إثبات السند والتأكد من صحة المرويات ومالكها يملك الأهلية للقيام بهذه المهمة الجليلة .

فهي وسيلة من وسائل الأخذ والتحمل تكون بأشكال مختلفة شفوية وكتابية عامة وخاصة نثرية ونظمية، ولا تنال إلا بعد استيفاء شروطها أملا في ربط الصلات الثقافية بين الشرق والغرب ،ولأن ذلك يعتبر مظهرا من مظاهر النبوغ العلمي كانت الإجازات التي تحصل عليها كبيرة خصص لها فيما بعد كتابا خاصا سماه **اتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء** ،وسوف نستعرض أهم هذه الإجازات التي تحصل عليها العياشي نذكر من شيوخ

[1] مجلة الذاكرة تصدر عن مخبر التراث اللغوي والادبي في الجنوب الشرقي الجزائري العدد 10 يناير 2018، ص 62.

المشارقة الذين أجازوا أبا سالم الشيخ"إبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري"وكان له اهتمام بالغ بالرواية واستجاز محمد بن رسول الشهرزوري من الفقه المالكي بالمدينة المنورة "،كما أخذ عن"أحمد بابا التمبكتي"ذكر العياشي أنه لقيه ببسكرة ولقنه الذكر وأجازه كما لقيه بالإسكندرية ،كما أجازه الشيخ ياسين بن محمد ،عمر بن عبد القادر المشرقي وهناك العديد من الإجازات لعلماء مشارقة ومغاربة لا يسع المقام لذكرهم[1]".

هذه الإجازات المختلفة التي حصل عليها العياشي تتم عن رغبة في التوفيق بين علوم المشرق بحكم الأسبقية الحضارية وعلوم المغرب باعتبارها منطقة لحقت الركب الحضاري فهو لا يرى تعارض بينهما بل يرى التكامل في التوفيق بينهما ،وهذا ما يفتح الطريق أمام المثقفين في القطرين إلى انتهاج نفس الأسلوب في التعامل وقد أجاز العياشي العديد من طلبة خاصة في المدينة ومصر.

3-4 دور أبي سالم في ربط الصلات بين المشرق والمغرب:

قام أبو سالم بدور إيجابي في حركة فكرية بين المشرق والمغرب وأضاف أثرا طيبا إلى سلسلة العلاقات الثقافية بين البلدان الإسلامية المختلفة وقد مكنته تجاربه من جمع معلومات مختلفة عن أحوال البلدان التي زارها اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا، إلى جانب الحياة الفكرية التي مثلت المحور الأساسي وعلاقته المشرقية خلال 17 م ونستطيع أن نبرز مجالات هذه المشاركة من خلال الأمثلة التالية:

1-حرص أبو سالم على معرفة كل إنتاج أدبي جديد في ميدان التأليف فكان أول من أدخل كتاب"نسيم الر ياض في شرح شفا القاضي عياض" بعد أن وعد المثقفين والمهتمين المغاربة بإحضاره وسهر بنفسه على استنساخه

2-نقل أبو سالم عددا من رسائل الشيخ إبراهيم الكوراني في مسألة الكسب ،وقد أثارت مناقشات طويلة بين علماء فاس والمدينة المنورة ،وألف من أجل الرد على أقوال الشيخ الكوراني كل من الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي وولد عمه السيد المهدي بن أحمد

[1] المصدر نفسه ص 63.

الفاسي وتلطفا في إظهار مخالفتهما لأرائه بينما تشدد بعض المغاربة وانتصروا لأراء علماء فاس

3-أثارت مسألة التبغ ضجة في المغرب منذ مستهل القرن 17 م فسجل أبو سالم الكلام حول الموضوع ،فالشيخ صفي الدين القشاشي أحد رجال العلم بالمدينة يميل ألى كراهية استعمال الدخان ،في حين أن الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني يتصدى لمن يميل إلى الإباحة وقد ألف من أجل ذلك رسالة سماها {محمد السنان في نحو إخوان الدخان} [1]هذا الأخذ والرد في المسائل العلمية والفقهية المثارة آنذاك يدل على نشاط فكري كان للرحالة يد فيها ،فأبو سالم كان حريصا على غلق الفجوة الثقافية بين المشرق والمغرب العربي من خلال مراسلاته ومناظراته المختلفة ،ما يمكن استخلاصه بعد استعراض الدور الذي قام به أبو سالم العياشي في التواصل الحضاري مع المشرق هو أن الرحلات المغاربية الحجازية كانت بحق جسرا عبرت من خلاله ثقافة المغرب إلى المشرق العربي ونقلت ثقافة المشرق إلى المغرب العربي ،فقد مدت جسور التواصل بين شقي العالم الإسلامي لقد رأى أبا سالم العياشي أنه من الواجب على العالم الحقيقي أن يطلب العلم من معلمه الأصلي ومن الشيوخ ذوي السبق ،فكانت رحلته حافلة بالمسائل العلمية المختلفة ،حيث جمع بين علوم المغاربة والمشارقة خصوصا في المجال الفقهي والصوفي ،حتى أنه خصص من وقته للتدريس في البلاد المشرقية ،في تواصل حضاري حقيقي بين المغرب والمشرق العربي ،وما الإجازات التي أجازها لغيره خير إثبات لهذا الدور

أن الرحلة العياشية حافلة بالعديد من المسائل العلمية المختلفة التي تحتاج إلى من يميط اللثام عنها ،والمجال مفتوحا أمام الباحثين للقيام بهذا الدور[2] "

[1] مجلة الذاكرة تصدر عن مخبر التراث اللغوي والادبي في الجنوب الشرقي الجزائري العدد 10 يناير 2018، ص 63.

[2] المصدر نفسه ص 63

المبحث الثاني: صورة المشرق في رحلات الغربيين

1-المدينة العربية في عيون الرحالين الأجانب

بدأ اهتمام الغربيين ببلاد الشرق ومبعث ذلك أسباب كثيرة فمنهم من قصد هذه الديار مستطلعا جال بلدانها وأثارها ،دارسا لغاتها وتاريخها وصنفوا في ذلك الكتب وكتبوا المقالات ووضعوا الخرائط ،ومنهم من وجه اهتمامه إلى مصنفات الأقدمين ومع بدايات القرن 19 عشر تعدى الانجذاب إلى الشرق مرحلة الدهشة والانبهار لدى الرحالين الأجانب إلى محاولة اكتشاف جديد للشرق ورغبة في معرفة أدق عن الآخر ما بين روائع آليات الماضي و معاقد التاريخ من ضفاف النيل وطور سيناء إلى المغرب العربي باختلاف مناطقه وما يحف بهذه الأصقاع من آثار مقدسة وما نهض في أحضان التاريخ من ابداعات فكرية وحضارية تكونت حصيلة ضخمة من معارف أوروبا عن الشرق ،وقد مكن الاستشراق الاستعمار الأوروبي من التوسع ،فكانت عيون المستشرقين تتجه نحو بلاد الشرق ولم يكن ما كتبوه مجرد تسجيل لانطباعاتهم بل تلقوا تدريبيا أكاديميا مكثف تشرف عليه جامعة ،وتمتعوا بالدعم المالي من حكومتهم والجمعيات والمؤسسات العلمية وقد اتسمت أوصافهم بالدقة حيث نجد كثيرا من التفاصيل في عرض دقيق للمدن العربية فحصا للتقاليد وأنماط السلوك ودراسة للأوضاع الاجتماعية والثقافية التي لا تخلو من نوازغ سياسية واكتشاف لما يحقق مصالح دولهم ،وقد نقل هؤلاء الرحالة أثناء تواجدهم بالمشرق العربي ما انطبع في حياتهم ،نتيجة لما رأوه في أسفارهم من مناظر طبيعية[1] ومعالم حضارية وعادات قومية .

[1] بورايو عبد الحفيظ مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، رسالة ماجستير شعبة أدب الرحلات جامعة منتوري قسنطينة 2007-2008.

2-صورة المشرق عند الرحالة

2-1 صورة المشرق عند الرحالة الإنجليز

حظيت مصرا باهتمام الرحالة الانجليز في أواخر القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر وقد أدى هذا إلى ازدهار أدب الرحلات ومرده إلى ظهور ترجمات عديدة لكتاب "**ألف ليلة وليلة**" ثم نتيجة للحملة الفرنسية وما أثارته من اهتمام بتاريخ مصر أثارها وأهميتها الاستراتيجية ويعتبر النقاد أشهر كتب الرحلات الانجليزية ما كتب عن مصر ومن أمثلة ذلك اليوثين لكلنجليك ،والهلال والصليب لإليوت وكتاب هاربيت مارتينو "الحياة في الشرق حاضرها وماضيها"و"حياة القرية في صعيد مصر"لبين سانت جون ،ثم رحلة من كور نهيل إلى القاهرة الكبرى للروائي الكبير ثاكري وفي هذه الكتابات يتجلى نيلها وصحرائها ،قراها ومدافنها القديمة أثارها وطباع أهلها[1]".

كما نجد رحلة كلود اثيان سافاري الذي كان منبهر بحضارة الشرق والتي استغرقت بمصر ثلاث سنوات توجت بكتابة (رسائل حول مصر lettre sur l'egypte) ليأتي من بعده قولناي ليقوم برحلة إلى سوريا ومصر ويكتب رحلته رحلة إلى سوريا ومصر وقد انحصرت الرحلة في هذه المرحلة في تسجيل الانطباعات لبعض المعالم الحضرية ووصف المناظر الطبيعية وتصوير العادات والتقاليد[2]".

ومن الطبيعي أن تتطور كتب الرحلات عن مصر فبينما كان اهتمام الرحالة يوصف الأماكن والآثار والمتاحف أصبح اهتمامهم منصب على أهل البلاد وقد اجتذب سجر مصر السياح والتجار وعلماء الآثار ودارسي كتاب المقدس والأدباء بحيث يعتبر أدب الرحلات عن مصر ثورة ضخمة من الكتابات المتنوعة في الأدب الانجليزي.

---

[1] انجيل بطرس: الرحلات في الادب الإنجليزي مجلة الهلال المصرية، ع أ، القاهرة دار الهلال، 1975 ص 54-55.

[2] ليلى جباري : صورة الغرب في الرواية العربية المشرق العربي نموذجا من دكتوراه الدولة في الأدب المقارن ، جامعة منتوري قسنطينة كلية الأداب واللغات 2005-2006.

"وما لبثت أن اتسعت رقعة الرحلات الانجليزية بحثا عن أماكن غامضة واكتشافها فلقد رحل ألكسندر جوردون لينج وهو ضابط برتبة رائد إلى ليبيا لأنها من المنافذ إلى دواخل إفريقيا ولأنها كانت تسيطر على طرق القوافل المتجهةإلى مرزق وا ٍلى غدامس ومنها إلى الجزائر حيث كان لينج يأمل الاتجاه منها إلى مدينة تمبكتو فيحقق حلما يبني له مجدا شخصيا ويحقق لحكومته انتصارا لأن انجلترا كانت تريد استغلاله التجاري لتحقيق أطماعها الاستعمارية في إفريقيا[1]"

"وقد ادعى ريتشارد بيرتون الاسلام ولبس زي الدراويش من أجل دخول مكة والمدينة وزيارة الأماكن المقدسة وقد دون رحلته إلى الحجاز عام 1853 في كتابه pessana piligirimage Inanativeofa والذي يقع في جزأين بالإضافة إلى وصف الأماكن المقدسة وما يحف الرحلة إلى هناك من مخاطر ومصاعب يعطي بيرتون معلومات اثنوغرافية جمة عن قبائل الحجاز وحياة البدو في الصحراء ،ولما توفي في 1890 بنت له زوجته ضريحا على هيئة بيت من بيوت الشعر البدوية[2]"

ولم تمض عشر سنوات على رحلته حتى شد الرحال في أثره وهو وليام بالغريف الذي بدأرحلته عام 1862 ورافقه مدرس إغريقي في رحلته إلى لبنان يجيد اللغة العربية وهناك تقابل بالغريف مع الأمير طلال بن رشيد ،وفي الرياض قابل الإمام فيصل وابنه عبد الله الذي قال عنه أنه قريب الشبه بهنري الثامن في طلعته في شجاعته واعتزازه بنفسه ومهاراته السياسية ونجد من ذهب بالغريف إلى البحرين وقطر وعمان ويدعي أن السفينة التي استقلها من هناك تحطمت في عرض البحر وفقد كل مذكراته.

[1] رحلتان عبر ليبيا رحلة هورتمان والرائد جوردون كينغ ط1 دار الفرجاني طرابلس ليبيا 1984 ص6.

[2] أدب البدو في كتابات الرحالة والمستشرقين ص8 www.saadso.wayan.com

2-2 صورة الشرق عند الرحالة الألمان

"شهدت العلاقات بين الشرق والغرب إبان الدولة العربية في الأندلس والحروب الصليبية تحولا كبيرا وسمع أهل الغرب الكثير من أخبار الشرق العجيب الغني ،وأصبح كتاب الرحلات مطالبين بالإفاضة والإسهاب لإرضاء فهم القراء إلى التفصيلات التي ما لبثت مقاييس العلم بمعناه الحديث عن حكمتها وظبطتها[1] "

وتعتبر رحلة راوولف ليونهارت من أقدم الرحلات الأوروبية إلى الشرق وذلك لأن هذه الرحلة وقعت في النصف الثاني من القرن السادس عشر ميلادي ومع أن الغاية التي استهدفها راوولف من رحلته هذه ،هي النباتات والأعشاب الطبية التي تنمو في بلدان الشرق ،إلا أن ما شهده خلال هذه الرحلة وما سمعه أضفى عليها مسحة من المتعة وقدرا كبيرا من المعلومات التاريخية والجغرافية والاجتماعية والاقتصادية مما يؤلف جزءا لا يستهان به من تأريخ العراق وبعض البلدان العربية الأخرى في تلك الفترة المظلمة

بدأ راوولف رحلته في اليوم الثامن عشر من سبتمبر 1573 من مدينة لوغسمبورغ في هولندا متوجها إلى مرسيليا في فرنسا التي وصلها في اليوم الأول من أكتوبر ثم غادرها قاصدا الشرق حيث رست به السفينة في ميناء طرابلس بلبنان وانتقل بعدها إلى دمشق أين تمكن من الإبصار بأمور هامة[2] وذهب إلى فندق الفرنسيين المقيمين هناك والتي اعتاد الألمان النزول به حيث وصف بيوت المدينة وذكر أن مدينة حلب تخلو من المباني الأثرية كما وصف العادات والتقاليد وصور الحياة العامة والخاصة للترك في حلب ،ووصف حكومة الباشا وتغيير البشوات وحياة الترف عندهم.

---

[1] كارستين فيبور رحلة مصر 1761-1762 ترجمة مصطفى ماهر ج 7 القاهرة دار الكتاب 4343 سنة 1977 ص6.

[2] ليونهارت راوولف رحلة المشرق ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي يغداد دار الحرية للطباعة ص5، 1978.

2-3 صورة المشرق عند الرحالة الفرنسيين

لقد انعكست للشرق الإسلامي صورة في الأدب الفرنسي اتباعا للعصور المختلفة وفي العصور الوسطى التي عادت فيها النزاعات الدينية وتحكم التعصب الأعمى ظهر المسلمون في الأدب الفرنسي ملامحه ومسرحياته في صورة وثنيين لا أخلاق لهم سرعان ما ينهزمون أمام أبطال المسرحية فيرتدون عن دينهم[1]، وفي عصر النهضة انصرف الأدب الفرنسي عن الشرق الإسلامي وتصوير أهله وولى وجهة شطر الآداب القديمة اليونانية واللاتينية يستوحاها ويحكيها ولكن الاهتمام بالشرق ما لبث ان احتل مكانة في الأدب الفرنسي في القرنيين السابع عشر والثامن عشر ظهرت له صورة أخرى مخالفة لتلك التي سادت في العصور الوسطى ،فالشرق في أدب هذين القرنيين "جميل الطلعة ،طلق لمحيا،خصب الخيال ،يشوبه بعض الغرور...وهو طيب الشمائل مهذب الخلق ،محمود العشرة ،كريم الضيافة ثم أنه متسامح لا تعصب عنده ،يحترم حرية غيره في الاعتقاد ومهما اختلف معه في العقيدة وهو محب للاستماع ميال للكسل ،يؤمن بكثير من الخرافات ويخضع خائفا لنير طغاة مستبدين من حكامه".

وكان لما لقي الرحالة الفرنسيين من كرم الضيافة وحسن الاستقبال أثناء رحلاتهم في الشرق، ولكنهم أطالوا في وصف الحكام وسوء استعمالهم لسلطانهم وفي وصف الطاعة المطلقة من الشعوب الشرقية الذليلة التي لا يرتفع صوتها بالاحتجاج ،وقد اتخذ بعض كتابهم ذلك وسيلة لمهاجمة سلوكهم تحت ستار مستعار من الشرق ونظم آنذاك كما كان من أولائك الكتاب من هاجم التعصب الديني وشنوا حربا على العقائد السائدة مستفيدين من الشرق أمثلتهم في التسامح وحرية الإعتقاد.

[1] كارستين فيبور رحلة مصر ترجمة مصطفى ماهر القاهرة دار الكتب سنة 1977 ص8.

3-الإستشراق

ظهر مصطلح الإستشراق orientalismفي نهاية القرن الثامن عشر وا ٍن كان الاهتمام بالإسلام والحضارة العربية الإسلامية قد نشأ قبل ذلك بعدة قرون في إطار الدراسات اللاهوتية ،فنشأت بحوث كانت تهدف للتصدي للإسلام وفيما بعد أسهمت مجموعة من العوامل السياسيةوالإقتصادية في دفع الدراسات الإستشراقية في الدول الأوروبية كي تنمو لتشكل منظومة معرفية تسعى لخدمة الغرب الأوروبي في سعيه الدءوب لإخضاع الشعوب المستعمرة ،ولدا فإن هذه المنظومة قد تعكس حقائق أو وقائع ،كما يرى إدوارد السعيد في كتابه "**الإستشراق**" بل تصور صورة الغرب ،وهو يتعامل مع الحضارات الأخرى من منظور المركزية الأوروبية[1]".

كما ان أنور عبد الملك في مقالته الشهيرة "**الإستشراق** "في أزمة منهجية مهمة يلخصها بقوله :"إن المستشرقين ابتداءا من رينان إلى جولد تسيهل إلى مكدونالدو وبرنارد لويس يعتبرون الإسلام مركبا ثقافيا ،لا يمكن دراسته بعيدا عن اقتصاديات الشعوب الإسلامية وحياتهم الاجتماعية ونظمها السياسية إلى أن جاء علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا ،فاتبعوا في دراستهم مناهج جديدة تعالج الإسلام كظاهرة شديدة التعقيد.

"ويلعب الإستشراق دورا فعالا في التعريف بالتراث العربي، بصرف النظر عن دقته ،الذي أدى إلى قيام حركة أدبية في أوروبا تفيد منه، وتنمو من خلال تأثيراته، فقد قام المستشرقون بترجمة "**ألف ليلة وليلة**" إلى لغاتهم ،ولعل ترجمة أنطون غالان التي نقلت إلى الفرنسية بين عامي 1704 و 1708 تشكل أكثر الترجمات أهمية في هذا المجال ،نظرا لعمق تأثيرها في الأوساط الأدبية الأوروبية ،حتى أن فولتير يعترف بأنه لم يزاول فن القمة إلا بعد أن قرأ "**ألف ليلة وليلة**" **14** مرة ،ثم تأتي ترجمة إدوارد لين للكتاب

[1] مجلة الفكر العربي العدد 31-1983،ص 215 نقله يوسف بكار.

نفسه إلى الإنجليزية بين عامي 1848_1849 وقد كان لهذه الترجمة دور مهم في الأدب الإنجليزي[1].

"إنالحديث عن مناهج المستشرقين الأوروبيين في بريطانيا وفرنسا ،وألمانيا وا ٍسبانيا ،ثم الو.م.أ ووسيا يحتاج إلى صفحات كثيرة وذلك نظرا إلى كثرة هؤلاء المستشرقين وتنوع إنتاجهم وغزاته فقد أسهم اولائك المستشرقين في كتابه دراسات عن التراث العربي الإسلامي فأخرجوا عشرة المخطوطات ،واهتموا بالبرديات العربية ،ودرسوا ظهور الإسلام وانتشاره، وفلسفته، وترجموا القرآن الكريم واهتموا بقراءته واهتموا بالحديث النبوي ،وضعوا معجما مفرهسا لألفاظه ودرسوا شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم كما قدموا دراسات تاريخية عن بلاد العرب منذ الجاهلية واعتنوا بالفلسفة الإسلامية وفنونها، ولغاتها وآدابها.

ففي بريطانيا نجد المستشرق رينولد نيكلسون (1868_1948) ففي بريطانيا في كتابه "**تاريخ الأدب العربي**" وقد نقله مضاء خلومي إلى العربية ويقوم الكاتب بعرض تعريفي عام بنشأة هذا الأدب منذ العصر الجاهلي حتى غزونا بليون لمصر عام 1798 م وهو يحاول التعرض إلى العديد من الظواهر الأدبية، ويحاول تحليلها، فيقف عند رواية الشعر الجاهلي الشفوية ونشأة التصوف ويردها لأسباب خارجية، تم يتحدث عن "ألف ليلة وليلة" تأثير الشعر[2] العربي في الشعر الأوروبي وخاصة الثروبادور ،ثم يتحدث عن "**ألف ليلة وليلة**" وشهرتها في الغرب.

"أما في فرنسا فكان بلاشير أحد المستشرقين الذين قضوا فترة طويلة من فترات تكوينهم الثقافي والوجداني في شمال إفريقيا ،فقد رجل إلى المغرب في الخامسة عشر،وحصل على شهادته الجامعية في اللغة العربية من كلية الآداب بالجزائر سنة 1992 م ومارس وظائفه الأولى في التعليم الثانوي والجامعي بالمغرب العربي، قبل أن يسند إليه منصب التدريس العربية الفصحى في مدرسة اللغات الشرقية في باريس سنة 1935 م ومن خلال

[1] المصدر نفسه، ص 216.

[2] مجلة الفكر العربي العدد 31-1983 ص 70-105 نقله يوسف بكار، ص217.

مقامه في باريس أجد رسالتين لدرجة الدكتوراه وكانت إحداهما عن أبي الطيب المتنبي والثانية عن ما عد الأندلسي، وظل النشاط العلمي لبلاشير مزدهرا حتى وفاته في الثالثة والسبعين برغم أنه أصيب بالعمى في العقدين الأخيرين من عمره، وظل محافظا على صلته الحية بالعالم العربي ،فقد كان عضوا بمجمع اللغة العربية في القاهرة ودمشق إلى جانب عضويته لأكاديمية الفنون والآداب في فرنسا[1].

ومن أهم مؤلفات بلاشير:

L'hstoire de la littèratur arabe des origines à la fin dux ve siencle

تاريخ الأدب العربي من البداية حتى نهاية القرن 15،وهو كتاب اقترح فيه بلاشير تقسيما جديدا لتاريخ الأدب العربي ،وقد استطاع بلاشير أن ينجز من كتابه هذا ثلاثة مجلدات قبل أن يدركه الموت ،وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية على يد:د/إبراهيم الكيلاني وصدر عن وزارة الثقافة بدمشق سنة 1974 م وقد نشر بلاشير رسالته التي أعدها للدكتوراه بعنوان :شاعر عربي من القرن الرابع الهجري /العاشر ميلادي: أبو الطيب المتنبي ،وقد ترجمها أيضا إلى العربية د/إبراهيم الكيلاني ونشرت في دمشق عام 1975،وقد رأى كثير من الدارسين أن دراسته بلاشير هذه كان لها تأثير في كتاب طه حسين "**مع المتنبي**".

وقد اهتم بلاشير كذلك بالدراسات القرآنية فقدم سنة 1974 م كتابه "مدخل إلى القرآن introduction ou coran" ثم قدم ترجمة للقرآن سنة 1950 مرتب فيها الآيات حسب النزول ثم أعاد تقديمها سنة 1957 م مراعيا فيها ترتيب المصحف العثماني ،ويضم هذا الكتاب إحدى دراساته المتصلة بالقرآن وأثره في نشأة المعجم العربي وفي مجال الدراسات المحمدية ،قدم بلاشير عدة دراسات عن شخصية الرسول الكريم اتسمت في مجملها بالاعتدال الإنصاف والميل إلى النظرة الموضوعية.

[1] احمد درويش الاستشراق الفرنسي والأدب العربي (د/ط)ن القاهرة دار غريب للطباعة ص27.

أما في ألمانيا يمكن الإشارة إلى بروكلمان(1868_1956) وجهده في كتابة "تاريخ الأدب العربي" الذي أمضى بروكلمان أكثر من عشرين سنة في تأليفه ،وفيه تعريف بهذا الأدب وأصحابه ،ومخطوطاتهم ومكان وجودهم في العالم.

أما إسبانيا فكانت الدراسات التي تقف عند الأدب العربي وتأثيره في الآداب الأوروبية من اختصاص آنخل جنثالث بالنثيا(1889_1949) كذلك له كتاب "تاريخ الفكر الأندلسي"الذي عرض فيه لأبرز الشعراء والفلاسفة والمتصوفة رابطا بذلك الأحوال السياسية في الأندلس أما روسيا فكان كتاب"دراسات في تاريخ الأدب العربي " لصاحبه أغناطيوش كرانشكوفسكي كتاب تعريفي ليعرف فيه الشعر الجاهلي ثم الشعر في العصور المختلفة ثم يتحدث عن ظواهر فنية كظاهرة البديع محللا لأشعار شعر ائه ومنهج ابن المعتز في دراسته، كما يغزى في الأدب الأندلسي ويقف في النهاية عند قصة ليلى والمجون.

أما الو.م. فتشارلز آمس كتب "الإسلام في مصر" الذي ترجمه عباس محمود، وفيه يعرض لجهود الأفغاني ومحمد عبده وغيرهما من زعماء الإصلاح، وقد أشاد بدور **العروى الوثقى** وأثرها في الإصلاح، والملاحظ أن جهود المستشرقين قد أسهمت في تعريفـالقار ئ الغربي بالأدب العربي وتجلياته، هذه الجهود أفضت إلى قيام مجموعة من الأدباء في الغرب وعلى رأسهم الشاعر الألماني غوته الذي كتب عن الشعر العربي وأعجب بمعلقاته واستوحى هذا الإعجاب في ديوانه "**الديوان الشرقي للمؤلف الغربي**" ومن هنا تحولت صورة الشرق العربي التي كانت سلبية عند دانتي في"الكوميديا الإلهية" إلى صورة ذات أبعاد إيجابية انعكست في الفن الرومانسي الأوروبي ،حيث صار الشرق منبعا للسحر والخيال[1].

ومن هنا كان الإستشراق رغم تحفظ الدارسين حول نتائج أبحاثه ،وسيط نقل الآداب العربية وأسهم في تقليص الهوة الثقافية بين الشرق والغرب، كما أسهم في إحداث نوع من

[1] د/يوسف بكار و د/خليل الشيخ الأدب المقارن 2017 ، ص 218.

الاهتمام على صعيد الثقافي في الغرب فقد خلفت نوعا من الاهتمام بالشرق تجلت في أدب الرومانسيين أمثال غوته وفكور هيغو، ولسنج الذين اعتبروا الشرق مهبط الإلهام الرومانسي وقد هتف شليجل عام 1800"هناك في الشرق وحده علينا أن نبحث عن الرومانسية في سموها.

"مما جعل الإنجليز والفرنسيين والألمان يتنافسون في فك رموز الكتابات الشرقية القديمة بما فيها الهيروغليفية لكي ينتزعوا أسرارها وينشروا بوضوحها والشروح الخاصة بها "[1]

[1] د/يوسف بكار و د/خليل الشيخ الأدب المقارن 2017، ص 310.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

رحلة أبو القاسم سعد الله إلى وادي سوف "صيف في سوف"

تمهيد

المبحث الأول: الرحلة والرحالة

أ- التعريف بالرحالة.

ب- التعريف بالرحلة.

المبحث الثاني: القضايا التي عالجها الرحالة في رحلته

أ- الجانب الفكري.

ب- الجانب الإجتماعي.

ج- الجانب الديني.

تمهيد

بلغت رحلات أبو القاسم سعد الله في الجزائر ثلاث رحلات رحلته الأولى كانت في 8 فبراير 1980 إلى خنقه سيدي ناجي التي كانت محل تركيزه في حين كانت رحلته الثانية إلى وادي سوف سنة 1989 والرحلة الثالثة كانت سنة 1990 إلى وادي ميزاب ،وهي رحلات كلها منشورة في جريدة "الشعب" ولقد تضمن كتابه "تجارب في الأدب والرحلة" الرحلة الأولى والتي حملت عنوان زيارة إلى خنقه سيدي ناجي إذ نجده يقدم لمحة عن هذه المدينة الأثرية ،كان يأمل من رحلته هذه إلى وصل ماضي المنطقة بحاضرها والإطلاع على ما بقي فيها من أثار عريقة تشهد بأصالة وادي سوف التي كانت موضوع العديد من الرحالين ،كما شغلت أقلام العديد من الدارسين قديما وفي الوقت الحاضر إذ نقل لنا الرحالة أبو القاسم سعد الله العديد من العناصر الثقافية والدينية والفكرية وذلك من خلال ما صادفه من مظاهر وعادات وتقاليد ومعالم أثرية ميزت وادي سوف واصفا بذلك انطباعات أفراد مجتمعه مسجلا أساليب عيشهم وناقلا مختلف فنونهم و صناعاتهم .

المبحث الأول:الرحلة والرحالة

1- التعريف بالرحالة:

تعريف أ بو القاسم سعد الله:

ولد أبو القاسم سعد الله ببلدة الوادي جنوب شرق الجزائر ،في الأول من يونيو سنة 1930 م بضواحي قمار ،درس بجامع الزيتونة من 1947 إلى 1954 واحتل المرتبة الثانية في دفعته، بدأ يكتب في صحيفة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1954.

كان يطلق عليه اسم "**الناقد الصغير**"كما درس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في القاهرة وحاز على شهادة الماجستير في التاريخ والعلوم السياسية سنة 1962 ثم انتقل إلى أمريكا سنة 1962 حيث درس في جامعة منيسوتا " manessota" والتي حصل منها على

شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر باللغة الإنجليزية سنة 1965 إضافة إلى إتقانه للغة العربية والإنجليزية كما أتقن اللغة الفارسية والألمانية .

ولقب أبو القاسم سعد الله بشيخ المؤرخين الجزائريين ،فهو باحث ومؤرخ حفظ القران الكريم وتلقى مبادئ العلوم وفقه الدين ،وهو من رحالات الفكر البارزين ،ومن أعلام الإصلاح الإجتماعي والديني ،له سجل علمي حافل بالإنجازات وتقلد عديد المناصب وقام بالعديد من الترجمات لأمهات الكتب.

وفاته:

توفي أبو القاسم سعد الله عن عمر يناهز الثلاثة والسبعين عاما وكان ذلك في 12 ديسمبر 2013 بالمستشفى العسكري أثناء علاجه من مرضه[1].

اثار ه:

لقد اثر أبو القاسم سعد الله المكتبة العلمية بنوادر وتحف فكريه تمثلت في بعض من مؤلفاته نذكر منها:

-موسوعة تاريخ الجزائر الثقافي 9 مجلدات ،دار الغرب الإسلامي بيروت 1989

-أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر {5 أجزاء}،دار الغرب الإسلامي ،بيروت 1993_2004

-الحركة الوطنية الجزائرية {4 أجزاء}،دار الغرب الإسلامي ،بيروت 1989_1992_1997

- محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث **(بداية الاحتلال)**، ط 1 مصر 1970،ط 3 1982

- بحوث في التاريخ العربي الإسلامي ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت 2003

- الزمن الأخضر ديوان سعد الله، الجزائر 1985

- سعفة خضراء ديوان سعد الله، الجزائر 1986

[1] وكيبيديا الحرة الموسوعة الحرة، الموقع https//art.wikipedea.org سا 18:20 23-03-2016.

-دراسات في الأدب الجزائري الحديث ،دار الأدب بيروت ،1966

-تجارب في الأدب والرحلة ،المؤسسة الجزائر 1982

-منطلقات فكرية ط 2، الدار العربية للكتاب تونس ليبيا 1982

-أفكار جامعة الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب 1988

-قضايا شائكة ،دار الغرب الإسلامي بيروت،1989

-في الجدل الثقافي، دار المعارف، تونس 1993

-هموم حضاريه دار الأمة الجزائر 1993[1].

2-التعريف بالرحلة

"رحلة أبو القاسم سعد الله من الرحلات التي تتحدث عن رجل الجنوب الجزائري في القرن العشرين حيث أنه من خلا ل رحلته كان يأمل ربط ماضي المنطقة بحاضرها والإطلاع على ما بقي فيها من عريقة تشهد أصالتها وأصالة الرجل الصحراوي وكرمه"

واستطاع الرحالة أن يوثق ويكشف عدة جوانب منها الإجتماعي والفكري والديني ويعرفها للقارئ حتى تطلع عليه الأجيال اللاحقة، فتدرك ما تدركه وتعايشه خاصة أن البعض منها مستعرض للضياع، فلولا هذا الفن لضاعت العديد من الثقافات وبذلك يعتبر أدب الرحلة ذاكرة حية تعكس أصالة هذه الثقافة [2]،"ولقد كان للرحالة أبو القاسم سعد الله دور بارز في نقل هذا الأدب والصمود والوقوف في وجه رياح الحداثة وتقديمه بصورة متكاملة من خلال تصويره مدى تمسك بعض المناطق بها وممارستهم لها ووصفه بدقة متناهية من قيم وفنون وآداب".

[1] وكيبيديا الحرة الموسوعة الحرة، الموقع https//art.wikipedea.org سا 18:20 .2016-03-23

[2] أبو القاسم سعد الله صيف في سوف الحلقة الأولى.

فرحلة أبو القاسم سعد الله تزخر بمورثين اجتماعي ومادي من مساجد وزوايا وتركيزه على خنقة سيدي ناجي التي كانت موضوع حديث العديد من الرحالين والتي تعرف بزاويتين الناصرية والرحمانية كما شرحها في رحلته قائلا: " وكان في الخنقة زاويتان الناصرية والرحمانية "وركز ايضا في البحث عن أهم المعالم الأثرية التي تمثل في وادي سوف.

و إلى جانب صور من الضيافة وحرارة الاستقبال التي نستخلصها في أدب الر حلة نجد أن الإنسان الجزائري عامة والبدوي خاصة لا يزال يتحلى بقيم أخلاقية نبيلة ورثها عن أجداده كقول الحق والابتعاد عن الزور.

إن ظلال النبل والكرم متأصلة في عروق البدوي الجزائري السوفي محفورة في ذاكرته يمارسها بكل عفوية فالفقير منهم إذا كان يملك شاة واحدة و جل بها ضيف فإنه لن يتأخر بنحرها إكراما له وفرحا به فكانت هذه السمات بمثابة متحف حفظت فيه تلك الفضائل التي ضاعت في ناحية أخرى.

و وادي سوف كما يصنفها العدواني هي بلاد المتعة ولقد نعتها بهذه السمة كونها تمنع الهاربين إليها من أن يلحقهم سلطان أو جيش، وقد قال عنها أيضا بأنها كانت براحا للذئاب قبل أن يعمرها أهل سوف ويعيشون فيها على هامش العالم.

إذ أن هناك من الآراء لما تنظر إلى هذا الأدب بما يحتويه من عادات وتقاليد نظرة تخلف وازدراء لما فيه من بعض الأفكار البدائية القديمة وبعض المعتقدات الخرافية السلبية صحيح هي مخلفات الماضي السحيق ومن أمثلة ذلك لباس أهل سوف اللباس الأبيض في فصل الصيف لا يمتص الحرارة وبالتالي فهو يخفف من شدتها ،كما أن أجدادنا يبنون بيوتهم بمواد الجبس والطين ...وهذه المواد مكيفة باردة في الصيف ودافئة في الشتاء[1].

[1] أبو القاسم سعد الله صيف في سوف الحلقة الثانية.

المبحث الثاني: القضايا التي عالجها الرحالة في الرحلة

1_الجانب الفكري:

ففي رحلة أبي القاسم سعد الله إلى وادي سوف نجده يشير إلى بعض المطبوعات الأثرية وأهم ما جاء فيها ،وبما أن مدينة سوف تعرف بمدينة العلم والعلماء فإنها سجلت عبر العصور عددا هائلا من العلماء خلدوا تاريخها ،ومن هؤلاء الشيخ العدواني الذي يعد شخصية تاريخية من مواليد قرية "الزقم" احدى قرى سوف ومن رحالات تلك المنطقة القدامى كان مولعا بالبحث والتنقيب ادى ميله هذا إلى الكتابة في ميدان التاريخ فألف كتاب في تاريخ سوف قام بترجمته إلى الفرنسية السيد ch_feroud سنة 1868 م "وكتاب يحمل اسم صحراء قسنطينة ترجم سنة 1887" والكتاب الأول للشيخ العدواني هو الذي وقف عنده الرحالة أبو القاسم سعد الله ،إنه يؤرخ لأحداث سوف ،والجريدة والزيبان خلال فترة ما بعد ابن خلدون[1] .

كما سجل الرحالة أبو القاسم سعد الله العديد من المعلومات التاريخية والثقافية التي حواها هذا المؤلف ،من أن العدواني تحدث عن "أعراش وعائلات وقبائل في الجريدة منهم أولاد الهادف والهمامة وأولاد مزروع والعرج، والشابية وغيرهم، بالإضافة إلى مدن ثمغرة والحامة ونفرازة والقيروان ونحوها".

هذا إلى جانب حديثه عن مدينة حزوة والتي تعرف اليوم "نفطة" الواقعة على الحدود التونسية ،وبما أن كتاب العدواني يؤرخ وادي سوف جعل الرحالة أبو القاسم سعد الله يستغرب جهل الناس هناك لهذا الكتاب حيث يقول:" واستغربت من أن الذين ذكرت لهم كتاب العدواني لم يعرفوه عدا واحد قال أنه سمع به".

[1] ابراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، منشورات شالة، د.ط الجزائر ،الأبيار 2007، ص 98.

كما قدم الرحالة أبو القاسم سعد الله لمحة عن حياة ابن خلدون ومما قاله "وهو الذي كتب **(المقدمة)** وفلسفة على الاجتماع والذي تداولت عائلته القضاء في الأندلس أجيالا، ومارس السياسة حتى غرق فيها إلى الأذقان في المغرب وتلمسان وتونس، ينتهي مفتيا ومادحا لتيمور وقاضيا متزلفا لمماليك مصر من الجراكسة والأتراك ولقد خرج ابن خلدون من المغرب العربي غاضبا وهاربا من السلاطين المتصارعين والبدو المخربين والفتن المتلاحقة".

2_الجانب الاجتماعي:

أما فيما يتعلق بطبيعة الحياة اليومية فإنها لا تخرج عن حياة أجدادنا، فالرحالة أبو القاسم سعد الله على الرغم من أنه ألف حياة المدينة بصخبها، إلى أن هذا لم يعمل على انسلاخه عن موطن أجداده، بل إنه المكان الذي يحن إليه ليشعر بدفء العائلة فيه ،بل هو "الراحة المطلقة من عناء المدن وشقاء الزحام المتكدس، وهي الليالي الجميلة ذات النسيم المنعش،وهي النجوم الزاهرة التي تسهر مع الانسان في وحدته وتأملاته وهو القمر الزاهي المليء بالضوء حتى يكاد يندلق منه، وفوق كل ذلك وادي سوف هو مهبط الجدود وموطن الآباء".

فالإنسان في وادي سوف هو انسان بدوي بسيط سواء في أكله أو لباسه أو في سلوكه مع الآخرين، وهذا يتماشى مع طبيعة الحياة البدوية ففي الصيف لا يخرج لباس السوفي عن القندورة البيضاءواللون الأبيض لم يتم اختياره بطريقة عشوائية وا ٍنما له دلالة لأن وادي سوف تقع في الجنوب الشرقي لمدينة بسكرة، أهم ما يميزها هو الحرارة لذلك يغلب اللون الأبيض على لباسهم، لأن اللون الأبيض يصد الحرارة وبالتالي يقيهم من شدتها، كما أنه "لباس يختلط بالطبيعة في كل شيء فالرمال بيضاء، والشمس تبيض أشعتها بانعكاسها على الرمال والثياب كلها تقريبا بيضاء [1].

[1] أبو القاسم سعد الله صيف في سوف الحلقة الثانية.

وسكان البادية معروفون بالنشاط والحيوية فهم كالنحل يشتغلون منذ طلوع الشمس فلا تمنعهم حرارة ولا ترهقهم مشقة عن عملهم، إن سمة الصبر بادية على وجوههم فكأنهم خلقوا مع الصبر ،أو أنهم أحفاد أيوب _عليه السلام_ إنهم يعملون أناء النهار وأطراف الليل لا تمنعهم من العمل العواصف الرملية الهوجاء ولا الحرارة الغاضبة ،وهم لا يعرفون العطل الأسبوعية ولا يتوقفون عن العمل في المواسم الدينية ولا الوطنية ولا معنى عندهم للنقابات التي تحدد لهم أوقات العمل وتدافع عن حقوق العمال[1].

وهذا الانضباط في العمل والنية الحسنة جعل سكان البادية عموما وأهل سوف على الخصوص يعيشون حياة سعيدة رغم صعوبة الطبيعة.

ومن صفاتهم الفطنة و الذكاء ،فهم سرعان ما ينتبهون للأشياء ويفطنون لها إذ يفهمون الشخص المتكلم بسرعة ويستوعبون مقصدهم سواء أكان ذلك من خلال تحركاته وطريقة تعبيره ،أو حديثه كما أن النكتة تصاحب غالبا حديثهم ويكون وراء كل هذه النكتة مقاصد، فقد تكون للترفيه عن المستمع وا إضفاء البسمة على وجهه ،كما قد يكون سكان الصحراء عموما مفطورون على الحكم والكلام الدال فهذه الصفات معروفة لدى أهل سوف أو مناطق أخرى من صحرائنا العميقة، وهذا ما عبر عنه أبو القاسم سعد الله بقوله :"والذين يعرفون طبائع الصحراء عامة وأهل سوف خاصة يعرفون أنهم سريعو البديهة حاضروا الذهن مفطورون على النكتة الذكية والإشارة الدالة، والحكمة العميقة وهم مهرة في إحكام على الشخص من مفهوم حديثه لا من منطوقه ،ومن حركاته ومشيته لا من تعبيره .

ومن الأعراف السائدة في المجتمع السوفي خروجهم ليلا في فصل الصيف للفسحة والتهوية وشم الهواء النقي المنعش الذي يكون حارا في النهار كما أنه من عاداتهم النوم وسط الحوش في فصل الصيف إذ قل ما تجد شخصا ينام في الغرفة، فالكل ينام في حوش البيت، والذي تكون به برودة منعشة تساعد على النوم بكل ارتياحية، كما أن هناك

[1] أبو القاسم سعد الله صيف في سوف الحلقة الأولى.

منظم وسط الشوارع ،لا يكون نومهم في الغرف وا ٍنما يكون وسط الأحواش وحتى في أطراف الشوارع والأماكن العامة المنعزلة[1].

إن مظاهر الحفاوة والاحتفال التي كانت بوادي سوف بل وفي كل القطر الجزائري تضفي عليها النسوة لمسة خاصة ،لأن المرأة الجزائرية ولاسيما البسكرية ميالة إلى الأعراس والأفراح إذ ينتظرون بفارغ الصبر عن سبب حتى يحتفلن بطريقتهن الخاصة "فهن الاتي ينتظرن فرص النجاح والختان والزفاف ليباهين بالولد الفائز و الصبي المطهر والفتاة المخطوبة، وياويح المرأة التي ليس لها ما تباهي به الجارات"[2].

ولازال أهل سوف متمسكون ببعض العادات المرتبطة باحتفالاتهم فعند الختان مثلا يأخذون الجزء المقطوع ويعلقونه في جذع النخلة بعد أن يوضع في صرة شرط أن تكون تلك النخلة صغيرة لتحمل اسم الصبي وكان الرحالة وكان الرحالة قد وجد النخلة التي تحمل اسمه وعبر عنها قائلا : "وكانت لي نخلة باسمي النخيل_ وقد وجدت رفيقة العمر قد اعتراها أيضا ما اعترى الأخريات فامتدت إليها يد الفناء ،ولم يبقى فيها إلا شوشة ذابلة تشبه مفرق امرأة عجوز شمطاء"[3].

وهذه الممارسات "لم تمض بصمت، فقد مارسها هذا الانسان وأعاد ممارستها حسب ما تقتضيه وحياته وحاجاته اليومية، كما أن هذه الممارسات حيث توارثها أبناؤه على مر العصور[4]، ففي واد سوف "أهم ما يميز أفراحهم طلقات البارود التي مزال الانسان السوفي يتمسك بها وارثا إياها عن أجداده، فدوي هذه الطلقات هي إعلان عن الفرحة ،وتعبيرا عن المشاعر وا ٍن كان ثمن الطلقة غال إلا أنه لاشيء ضروري في أي فرح تحول الليل إلى

[1] أبو القاسم سعد الله صيف في سوف الحلقة الثانية.

[2] أبو القاسم سعد الله صيف في سوف الحلقة الأولى.

[3] أبو القاسم سعد الله صيف في سوف الحلقة الثانية.

[4] سعيدي محمد، الأدب الشعبي بيم النظرية والتطبيق، ص 16-17.

أفراح تكاد تكون دائمة ،بارود يصك الأذان ويرعد الرمال من تحت الأرجل رغم الطلقة بعشرة دنانير للفارس الذي يطلقها".

ولم تكن طلقات البارود هي الميزة الأساسية لأفراح وادي سوف"وا ٍنما كانت الزغاريد هي الأخرى بارزة في أفراحهم ،يعبر بها النسوة بطريقة بطريقتهن الخاصة ،والزغاريد النسوية يقابلها طلقات البارود الرجالية ". فكل جنس له طريقة خاصة به في التعبير.

وا ٍن كانت هذه الاحتفالات قد ميزتها الروح الجماعية فإن هذه السمة **(روح الجماعة)** تبرز كذلك في أوقات الشدة من وفاة أو ضياع شخص،ففي رابعة النهار تسمع أحيانا المنادي ينادي مكبر أحد المساجد معلنا للسكان أن طفلة أو طفل خرج من حوش أهله ولم يرجع ثم يأخذ في وصفه ووصف لباسه، ويناشد من عثر عليه أن يأخذه إلى أهله **(حوش فلان)** وفي ذلك من التضامن والتكافل ما فيه وهناك تضامن من نوع اخر لا يقل أهمية فمن وقت لأخر تسمع في المكبر عبارة "**الله أكبر**" "**الله أكبر**"ثم تسمع بعدها أن فلانا أو فلانة توفاه الله وأن جنازته تشيع على الساعة كذا ،فيأتي الناس من قريب ومن بعيد تشيع الفقيد وتقدم التعازي لأهله ،والوقوف مع أهل المصاب ومساندته ومؤازرته للتخفيف من وطأة همومه.

إن هذه الصفات وغيرها تثبت أن مجتمع سوف وكغيره من المجتمعات البدوية الجزائرية، مجتمع منافي ومتكافل تسوده الروح الجماعية، وهي سمة بارزة في وادي سوف كما تبرز في مختلف المناطق البدوية الاخرى إذ لا يوجد مجتمع يتبع حياة شخص في مظاهر حياته من كل نواحيها مثلما نجد في هذا المجتمع المحافظ[1].

فقد ذكر أبو القاسم سعد الله في رحلته إلى سوف لفظة متداولة بين أفراد المجتمع السوفي وهي لفظة "**السيوف**" بلهجتهم المحلية وهذه اللفظة غير معروفة في بعض المجتمعات ،ويقصد أهل سوف "**السيوف**"الكثبان الرملية ذات الشفر ات السيفية

[1] أبو القاسم سعد الله صيف في سوف الحلقة الثانية.

يقول الرحالة :"وغاصت قدمي في رمالها الناعمة المتحركة وصعدت وهبطت كثبانها ذات الشفرات السيفية وصدق من سماها "**السيوف**" في "اللهجة المحلية"[1].

ولعل أهم ما وقف عليه أبو القاسم سعد الله هو الحوش الذي نشأ فيه وتربى بين أحضانه"فعلى الرغم من أن المكان أصبح بال أكل منه الدهر حتى شبع إلا أنه مزال يحمل في نفسه الكثير من الذكريات إنها ذكريات الطفولة والصبا المفعمة بمشاعر الحب والحنين والإحساس فيه بالحنان والأمن بل إنه البيت الذي يشارك فيه يوميا في بناءه" لأن البيت الذي نولد فيه محفور بشكل مادي في داخلنا إنه يصبح مجموعة من العادات العضوية بعد مرور عشرين عاما، إن البيوت المتعاقبة التي سكناها جعلت ايماءاتنا عادية ولكننا نندهش حين نعود إلى البيت القديم بعد تجوال سنين عادية ،إذ نجد أدق الإيماءات أقدمها تعود للحياة دون أدنى تعبير[2].

3_الجانب الديني:

لا يزال المجتمع السوفي متمسكا بالعديد من المعتقدات كزيارة الأضرحة ،والتبرك بكرامة الأولياء،والخضوع لبعض المرابطين ،وهذه المظاهر شهدها المجتمع السوفي وغيره من المجتمعات الأخرى خلال الفترة الاستعمارية وبعد الاستقلال "ويذكر أبو القاسم سعد الله في رحلته إلى سوف أن المجتمع لا يزال متمسكا ببعض المعتقدات القديمة منها تلك المعتقدات المرتبطة بالزمن ،ولقد لجأ إليها في وقت كان بحاجة إلى تفسير بعض الظواهر"،فإذا كان الانسان على علم ببعض ويحس بأنه متأكد منها مثل تعاقب الليل والنهار ،أو الشتاء أو الصيف ،ولكن تبقى طائفة كبير ة من الأحداث المحتملة لا يستطيع أن يكون متأكد منها، وموقفه إزاءها كموقف الطفل، ومن أجل ذلك فإنه يخافها[3].

[1] أبو القاسم سعد الله صيف في سوف الحلقة الثانية.

[2] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 28.

[3] فوزي العنتيل، الفلكلور ماهو؟ ص118.

كما أن للزمن نصيبا عند أهالي الجنوب خاصة أهالي وادي سوف،فهم لا يعتمدون على الساعة ،بل لا معنى لها عندهم وا ٍنما هناك مقاييس يستعينون بها في معرفته ،"ومن هذه المقاييس نذكر كخيال الظل، وشروق الشمس وغروبها، ومواقيت الصلاة، وميلاد نجوم الليل ولعل هذا ما جعل الرحالة أبو القاسم سعد الله يستغنى عن ساعته ويتحرر من الزمن، "حتى الزمن تحررت منه منذ وصولي إلى سوف ،نزعت ساعتي وخبأتها ،فلم أعد أعرف الوقت إلا كما يعرفه أهل سوف، وهو خيال الظل، وشروق الشمس وغروبها ،ومواقيت الصلاة وميلاد النجوم في الليل إن الساعة لا معنى لها هنا".

بل إنهم أحيانا بين الأيام والشهور ،ففي فصل الصيف مثلا لا يعرفون أيامه وشهوره ،وا ٍنما ما يعرفونه هو تلك المصطلحات الدالة على انخفاض درجة الحرارة شيئا فشيئا واقترب الخريف،ومن هذه المصطلحات المتعارف عليها بين سكان أهل سوف (الوسطاني)،و(اوسو)و(غشت)وغيرها من مصطلحات تقدم الحرارة واقتراب الخريف [1].

يروي الرحالة أبو القاسم سعد الله في رحلته إلى سيدي ناجي "أنه كان بزاوية الشيخ عبد الحفيظ ،عليه سبحة ضخمة ذات حبات بنية اللون الواحدة منها في حجم حبة الكرز ،وقد قيل لي أنه كان بها ألف حبة للتبرك فتناقصت"[2] لأن هؤلاء الأولياء في منظور الناس هناك رجال صالحون لهم القدرة على الأفعال الخارقة ،وقدرتهم هذه ستبقى بعد وفاتهم لذلك يبقى الضريح ملجأ للزوار .

وا ٍذا كانت الزاوية في القديم تقوم بأغراض عدة:تعليم القران الكريم ،تقديم دروس في اللغة العربية ،المحافظة على الدين الإسلامي في عصر الجهل ،محاربة المستعمر والذي عمل في كثير من الأحيان على القضاء على مقومات وتعاليم الدين الإسلامي ،وطمس الهوية الجزائرية ،إلا أن النهضة والتقدم الحضاري لم يقف كحائل على نشاطهما ولم يقللا من

[1] أبو القاسم سعد الله صيف في سوف الحلقة الأولى.

[2] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة ص 262-263.

قيمتها،فهي مازالت موجودة وقائمة بدورها بكل مرونة وفعالية ،بل تضاع دورها وازدادت أهميتها ،لا شيء إلا لأنها الزاوية ،تراث عريق تفرز النسغ الحياتي المغذي للنظام الإجتماعي من جهته،وهي المنظم لعملية الصيرورة الاجتماعية من جهة ثانية ،وهي من جهة ثالثة وعند الاقتضاء ،تشكل السلطة المرجعية التي تتولى حماية المجتمع من التبدد والذوبان ،وهي تقوم بالدفاع عن كيانه ووجوده[1].

ومن أهم الزوايا التي وقف عندها الرحالة أبو القاسم سعد الله في رحلته ووضعها بكل ثقة وأثبت وجودها ودورها هي :الزاوية الناصرية والزاوية الرحمانية، بل إن رحلته كانت لهذا الغرض وهو يعترف بذلك قائلا:"وا ٍنما اهتمامي الان بالمعالم الاثرية والمراكز العلمية لهذه المدينة التي عرفت ازدهارا علميا في القرن الثاني عشر للهجرة (18 م) فإذا بها اليوم تنسحب من المسرح تماما"[2].

إن أبو القاسم سعد الله كان يأمل في رحلته هذه وصل ماضي المنطقة بحاضرها والإطلاع على ما بقي فيها من أثار عريقة تشهد بأصالة قرية سيدي ناجي، كيف لا و خنقة سيدي ناجي كانت موضوع حديث العديد من الرحالين ،كما شغلت أقلام العديد من الدارسين قديما وفي الوقت الحاضر ،ويؤكد الرحالة ذلك مشيرا إلى أن كل من قرأ كل ما كتبه الرجالة والدارسون عن خنقه سيدي ناجي قبل الاحتلال الفرنسي تحن نفسه إلى رؤيتها اليوم والإطلاع على ما بقي من أثارها ،"وأنا من هؤلاء فقد شغلت مآثر الخنقة القديمة حيزا طيبا من كتابي **(تاريخ الجزائر الثقافي)** خلال العهد العثماني،وكنت قد قرأت

[1] محمد الطاهر العدواني، تقود المقاومة وتعيش حرب التحرير،أعمال الملتقى الوطني الأول حول دور الزوايا في بناء المقاومة والثورة التحريرية، المنعقد بجامعة السانية–وهران–يومي 25–26 منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر،2007 ص 81.

[2] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة ، ص259.

ما كتبه عنها عبد الله العياشي المغربي،والحنين الورتلاني، والخليفة بن حسن القماري وغيرهم"[1].

وتعرف الخنقة بزاويتين هما: الناصرية والرحمانية ،كما شرح أبو القاسم سعد الله في رحلته قائلا: و"كان في الخنقة زاويتان الناصرية والرحمانية..."، "أما الزاوية الناصرية فنسبة إلى محمد بن ناصر، قديمة تعود إلى القرن الحادي عشر الهجري[2] "وكان بالزاوية جامع كبير ومدرسة ينشطان بقوة بغية نشر العلم وتخليص أفراد المجتمع من الجهل والأمية، إلى جانب نشر العلم وتخليص أفراد المجتمع من الجهل والأمية إلى جانب نشر تعاليم الدين الإسلامي، والتي غالبا ما حاول المستعمر الدوس عليها.

ويقدم الرحالة معلومات عن هذه المدرسة المتواجدة بالزاوية، والتي تقوم بتقديم خدمات جليلة لطلابها ودارسيها، وهنا تكمن أصالة هذه المراكز الدينية، "وكانت المدرسة التي ما تزال قائمة، تحتوي خمس عشرة غرفة، وتضم كل غرفة من خمسة إلى عشر طلاب، وقد تجلت في هذه المدرسة التي تعرف بالناصرية، وفي الجامع وبين الأضرحة فوجدت وسط المدرسة باحة وحولها الغرف لسكن الطلبة في طابقين، ولها بابان، ذلك أن الطالب كان يقرأ القران في المدرسة ويبيت فيها، وعندما ينضج علميا يحضر حلقات الدرس في الجامع المجاور وجامع سيدي مبارك أو الكبير[3]".

ولهذه الزاوية دور كبير في الخنقة، "تعلم القران ونشر العلم هذا إلى جانب مهمة إطعام الفقراء، إلا أنه بعد اندلاع الثورة قلت مهامها فأصبحت تقتصر على العبادة فقط ولا شك أن زاوية الشيخ عبد الحفيظ قد بدأت بنشر العلم وإقراء القران وإطعام الطعام للفقراء شأنه في ذلك شأن معظم الزوايا في القديم ،ثم اختفى دورها العلمي مع تقدم الاستعمار،

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة ، ص257.

[2] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة ، ص260.

[3] المصدر نفسه، ص263.

واقتصرت وظيفتها على الأمور التعبدية، حتى إقراء القران قيل لي أنه ل يعد بها منذ اندلاع الثورة".

إن أبا القاسم سعد الله يقدم من خلال رحلته معلومات تاريخية جد مهمة عن هذه المراكز الدينية كسنة البناء وسنة التجديد...هذا إلى جانب تقديم الدور الذي تقوم به

فمن هذه المساجد التي ذكرها أبو القاسم في رحلته إلى وادي سوف نذكر منها:

1-مسجد كزردة:

كزردة اسم قبيلة من القبائل القديمة ،وهذا المسجد قد اندثر ،قام الفرنسيون بهدمه والقضاء عليه "سنة 1957وبنوا فوقه وسكنوا البناء الجديد ثم غادروه بدون أن يبقى أثر المسجد" وهذه الأعمال التي قام بها المستعمر ليست بغريبة ،لأن المستعمر كان يمس الجزائري في صميم هويته ،ولكن رغم ذلك بقيت المراكز الدينية تؤدي دورا هاما في المجتمع السوفي وذلك من خلال نقل ونشر،وا ٍعادة إنتاج الثقافة الدينية الإسلامية وما تحمله من قيم وأخلاق ومعاني وسلوكيات اجتماعية هذا إلى جانب نشر قيم المحبة والتسامح بين الجزائريين.

2-مسجد سدراتة:

نسبة إلى اسم قبيلة تدعى سدراتة {هي من بطون زناتة البربرية } ومسجد سدراتة بني في عهد الدولة العثمانية أي قبل دخول الفرنسيين وتقام فيه الصلوات الخمس بطريقة غير منتظمة، وهو المسجد الذي قرأ فيه الشيخ أجمد زروق بن مكي المذكور قبل ذهابه إلى خنشلة إذ كانت هذه الزاوية بجامعها، ومدرستها قديمة إلا أن النقوش المتواجدة بها استطاعت أن تحفظ العديد من المعلومات عنها، وهذه النقوش حملت تواريخ نسيها أصحاب المنطقة ،منها شكل الكتابة المنقوشة التي تقول أن المدرسة "بنيت على يد أحمد بن ناصر في شهر رجب سنة 1171 والغالب على الظن أن هذا التاريخ هو تاريخ التجديد وليس تاريخ البناء الأصلي"وا ٍلى جانب هذه النقوش الكتابية، هناك نقوش على الرخام المحيط بالباب الخارجي للمدرسة تحتاج إلى التصوير والحفظ في أحد المتاحف

لأنها على وشك الضياع،"فهي تحفة فنية من التراث المحلي والوطن فليت مصلحة الآثار تلتفت إلى هذه النقوش فتصورها وتحفظها"[1].

إذ وصفها أبو القاسم سعد الله وصفا دقيقا حيث أن هذه النقوش لها قيمة كبيرة فبفضلها حفظت لنا تواريخ جد مهمة ،كما أنها نقلت لنا معلومات لا يستطيع أن يستغنى عنها المؤرخ ،ومما كان منقوشا على محراب الجامع تلك المعلومات التاريخية التي تقول: "إن باني الجامع هو محمد بن محمد الطيب أواسط شهر صفر سنة 1171 هـ، كما أن ناقش المحراب هو أحمد بن عمر التونسي، وهناك تاريخ اخر يشير إلى أن القبة ضريح الشيخ سيدي مبارك والجامع قد بنيا سنة 1171 هـ وأن تكاليف البناء قد بلغت 8113 بعملة ذلك الوقت" ،إذن وظيفة هذه النقوش لم تتوقف على إبراز جمال هذه المعالم الأثرية، وا ٍنما أفادت العديد المؤرخين، فهي سجل لمعلومات تاريخية:تاريخ البناء، اسم الباني، معلومات عن الأولياء، ومما ذكره الرحالة أبو القاسم سعد الله على ضريح سيدي مبارك لقوله :"أما على ضريح سيدي مبارك نفسه قد وجدت مكتوبا عليه أن علي بن حسين باي قد أودع فيها **شهادة أن لا إله إلا الله** وأن ناقشها هو الأصطا حسين سنة 1151 هـ وهناك أضرحة كثيرة في غرف خاصة تضم أحداث أولاد حسين، وأولاد مبارك بالمكي بعضها مازال يحمل تاريخ الوفاة ،والبعض محت الرطوبة تاريخه، وقد قرأت في مقبرة أولاد حسين أن أحمد البدوي بن حسين توفي سنة 1352 هـ/1934 م"[2].

"إن هذه النقوش الكتابية ذات قيمة كبيرة تاريخية وثقافية تستدعي ضرورة الالتفات إليها وحفظها قدر المستطاع لأنها الدليل المادي الذي تعتمد عليه في تاريخ أي بناء أثري إذا ما اختلفت أراء المؤرخين في نسبته على عصر ما"[3].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة ، ص260.

[2] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة ، ص 262.

[3] مبارك بوطارن، العمائر الدينية في المغرب الأوسط، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط 1 ص 201.

قد حازت قرية سيدي ناجي على تراث مادي أهلها لأن تكون منطقة سياحية يقصدها الزوار للتعرف على مآثرها، فهي تتكئ على العديد من عناصر الجذب السياحي كالمعالم الدينية، والمواقع الأثرية، والتاريخية الهامة المنتشرة على كافة رقعتها، ومن هذه المعالم الدينية التي وقف عنها الرحالة أبو القاسم سعد الله فوصفها وسجل نشاطاتها حتى تتبقى في الذاكرة نذكر :

1 – الجامع الكبير:

سمي كذلك سيدي مبارك وهو مسجد أثري قديم يعود تأسيسه إلى القرن الحادي عشر –17 م– ولم تقتصر مهمة هذا الجامع في العبادة، وأداء الصلوات الخمس بل كان مركزا لنشر العلم ،حيث فيه حلقات الدروس من شيوخ، قال عنهم الورتلاني أنهم اشتهروا بالنحو الفقه، والحديث، لا يحبون تدريس التوحيد والمنطق، فوظيفة الجامع كما يذكر لم تقتصر على العبادة بل تحولت إلى دور العلم تقدم فيه الدروس ،وتجري فيه مناظرات بين علماء قسنطينة وتونس[1].

2 – مسجد السوق:

مسجد أثري بخنقة سيدي ناجي يقصده أهل المنطقة لأداء الصلوات الخمس ،وقد بني حسب التواتر خلال القرن الثاني عشر –18 م–[2].

3 – مسجد زاوية الشيخ عبد الحفيظ الخنقي:

يحمل هذا المسجد اسم الشيخ المؤسس للزاوية على الطريقة الرحمانية في القرن الثالث عشر _13 م_ وهذا المسجد له مكانة كبيرة ،"فهو معلم ديني أثري تعرض للاندثار إلا أن مكانته دفعت المهتمين به إلى إعادة ترميمه وقد جدد المسجد أخيرا فقط سنة 1979 م السيد رشيد حفيد الشيخ عبد الحفيظ"[3] ،وبعد أن وقفنا عند بعض المعالم الدينية التي

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة ، ص 262.

[2] المصدر نفسه ص 261.

[3] المصدر نفسه ص 262.

وصفها رحالونا من مساجد وجوامع وزوايا سنشير إلى الفرق الذي أوجده أبو القاسم سعد الله بين هذه المعالم الثلاثة ،والرابط بين الجامع والمسجد يقول الرحالة:والتداخل ليس في الاسم فقط بل في الوظيفة أيضا فالجوامع ،والمساجد ،كانت للعبادة ة والتعليم كما أن الزوايا أحيانا ولكن هذه في الغالب كانت رابطا ،أو ملجأ ،أو مسكنا ،للطلبة والغرباء ومركزا متلقين الأذكار واستقبال المريدين "،كما أن حجم هذه المؤسسات له دخل في تحديد وظائفها ،فالجامع اصطلاحا أكبر حجما من المسجد فهو الذي تؤدى فيه الصلاة الجامعة ،أو الجمعة ،أو العيدين ثم أن الجوامع والمساجد في الغالب غير منسوبة إلى مؤسسها، بينما تنسب غالبا إلى ولي من الأولياء"[1].

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج1، ص245.

خاتمـــــة

خـاتمـــــــــة

في خاتمة هذا البحث يمكننا القول أن أدب الرحلة يشكل جنسيا أدبيا يصور فيه الرحالة ما شاهد وما جرى من أحداث وما صادفه من أمور أثناء رحلته فأدب الرحلة يجمع بين المتعة والفائدة ولأن الرحالة ينقل من خلال رحلته كل ما سمعه ووقع عليه بصره كان هذا الأدب سجلا حقيقيا لمختلف المعلومات

فإن الرحلات الجزائرية بمختلف اتجاهاتها قد رصدت تنوع المعالم الحضارية في مختلف الجوانب الحياتية في البلدان التي قصدها وعكست أحوال المجتمع الجزائري وعاداته وكشفت الانتماء لثقافة الذات والفهم لثقافة الآخر

إن ر حلة أبو القاسم سعد الله قد أثبتت أن الجزائر تتربع على تراث غني ومتنوع الضروب،فهو يمثل الهوية الوطنية والعزةوالكرامة الشخصية الجزائرية فقد نقلها بصورة حية وحقيقة خاصة أن البعض منها مهدد بالضياع فالرحلات أعطت بذلك صورا واقعية لبعض مظاهر الحياة في مختلف البلدان من عادات وتقاليد،إذ تعتبر هذه الرحلة مصدرا هاما من مصادر تاريخ الجزائر.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. ابراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، منشورات شالة، د.ط الجزائر، الأبيار 2007.
3. ابن عمار أحمد نبذة من الكتاب المسمى نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة بيرفونتانة، الجزائر 1902.
4. ابن فارس، مقاييس اللغة المجلد الثاني ، دار الجيل، بيروت.
5. ابن منظور، لسان العرب ،ج11، دار مادر، بيروت طلعة 1994.
6. ابو القاسم سعد الله صيف في سوف الحلقة الأولى.
7. ابو القاسم سعد الله، آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر، الغرب الإسلامي، ط2 بيروت ص 178.
8. ادب البدو في كتابات الرحالة والمستشرقين .www.saadso.wayan.com
9. أدب الرحلات ودوره في تلاقح الحضارات محمد اوشتاتو، استاذ جامعي، google ads.g.double click.net 28-03-2018
10. أدب الرحلة عند العرب حسيني محمد حسين.
11. ألفير زبادي قاموس المحيط، ج3، دار الأحياء للكتب العربية، بيروت 1985.
12. انجيل بطرس، الرحلات في الادب الإنجليزي مجلة الهلال المصرية، ع أ، القاهرة دار الهلال، 1975.
13. أندري جيد، رحالة فرمس تعددت رحلاته وكثرت خاصة إتجاه شمال إفريقيا خلال الفترة الممتدة مابين (1893 -1951).

14. بورايو عبد الحفيظ مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، رسالة ماجستير شعبة أدب الرحلات جامعة منتوري قسنطينة 2007-2008.
15. حسين محمد فهيم، أدب الرحلات سلسلة عالم المعرفة، رقم 138، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989.
16. حسين نصار أدب الرحلة- القاهرة- مكتبة لبنان، لونجمان، ط1، 1991.
17. خطاب الرحلة في الأدب العربي ومكوناته النبوية، مجلة علامات في النقد، النادي العربي، جدة، ج 9.م3. سبتمبر 1993.
18. د.عبد الله ركيبي تطور النثر الجزائري الحديث ،(د ط)المؤسسة الوطنية للكتاب، الدار العربية للكتاب 1912.
19. د.يوسف بكار و د.خليل الشيخ الأدب المقارن 2017.
20. الرحلة في الأدب العربي التجنس آليات الكتابة، خطاب المتخيل، ص 158.
21. رحلتان عبر ليبيا رحلة هورتمان والرائد جوردون كينغ ط1 دار الفرجاني طرابلس ليبيا 1984.
22. سعيدي محمد، الأدب الشعبي بيم النظرية والتطبيق.
23. سميرة انساعد، الرحلة الى المشرق في الادب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية -دار الهدى، عين مليلة- الجزائر 2009.
24. سيد حامد النساج ، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا .
25. شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي (التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل).
26. شوقي ضيف الرحلات، دار المعارف ط4، القاهرة، د.ت.
27. عائشة ولجي بلاغة الخطاب السردي في رحلة الورتيلاني رسالة ماجيستار في أدب الرحلات، جامعة منتوري، قسنطينة 2005-2006.

28. عواطف محمد يونس تواب، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرحلات المغربية والاندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجري، دراسة تحليلة مقارنة د.ط الرياض 1996.
29. فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، (د ط) الدار العربية للكتاب، د ت.
30. كارستين فيبور رحلة مصر 1761-1762 ترجمة مصطفى ماهر ج 7 القاهرة دار الكتاب 4343 سنة 1977.
31. ليلى جباري، صورة الغرب في الرواية العربية المشرق العربي نموذجا دكتوراه الدولة في الأدب المقارن ، جامعة منتوري قسنطينة كلية الأداب واللغات 2005-2006.
32. ليونهارت راوولف رحلة المشرق ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي بغداد دار الحرية للطباعة 1978.
33. مجلة الذاكرة تصدر عن مخبر التراث اللغوي والادبي في الجنوب الشرقي الجزائري العدد 10 يناير 2018.
34. مجلة الفكر العربي العدد 31-1983.
35. محمد الطاهر العدواني، تقود المقاومة وتعيش حرب التحرير، أعمال الملتقى الوطني الأول حول دور الزوايا في بناء المقاومة والثورة التحريرية، المنعقد بجامعة السانية – وهران- يومي 25-26منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
36. محمد حاتمي في الخطاب الرخلي مقالة منشورة إلكترونيا.
37. محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط دمشق 2002.
38. محي الدين أبي زكريا بن شرف النووي صحيح مسلم بشرح النووي محمد سيد عبد رب الرسول ج 17-18 مكتبة ابو بكر الصديق للنشر والتوزيع، ط1 القاهرة، 2006.

39. المسعودي أبو الحسين مروج ال\اهب والمعادن الجوهر ج1 تقديم محمد السويدي، موفر النشر د.ط الجزائر 1989.
40. ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع.
41. نوال عبد الرحمان شوابكة أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري دار المأمون للنشر والتوزيع ط1، ع 2008.
42. وكيبيديا الموسوعة الحرة، الموقع https//art.wikipedea.org
43. ينظر أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي (1830.1500) ج2 دار الغرب الإسلامي ط1، بيروت 1998.

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات:

شكر

دعاء

إهداء

مقدمة.....أ

الفصل الأول: الرحلة في البلاد العربية

تمهيد.....**11**

المبحث الأول:مفهوم أدب الرحلات

1-.ماهية أدب الرحلات 12

2-أقسام أدب الرحلة 16

المبحث الثاني: دواعي تدوين الرحلة ودوافعها وقيمتها الأدبية

1-دوافع تدوين الرحلة.....20

2-دواعي تدوين الرحلة.....23

3-قيمة أدب الرحلة.....24

الفصل الثاني: أدب الرحلات دوره وعلاقته بأدب الإستشراق

تمهيد.....**32**

المبحث الأول: دور الرحلات في الكشف عن الحضارات

1-دور أدب الرحلة في الحوار بين الثقافات..... 33

2-دور الرحلات الغربية في الكشف عن حضارات الشرق 34

3-دور الرحلة العياشية في التواصل الحضاري مع الشرق..... 38

المبحث الثاني: صورة المشرق في رحلات الغربيين

1-صورة المدينة العربية في عيون الرحالي الأجانب..... 45
2-صورة المشرق عند الرحالة الإنجليز والألمان والفرنسيين.....46
3-الاستشراق.....50
الفصل الثالث: رحلة أبو القاسم سعد الله إلى وادي سوف "صيف في سوف"
تمهيد..... 54
المبحث الأول: الرحلة والرحالة
1-التعريف بالرحالة..... 54
2-التعريف بالرحلة..... 56
المبحث الثاني: القضايا التي عالجها الرحالة في رحلته
1 -الجانب الفكري..... 58
2-الجانب الاجتماعي..... 59
3-الجانب الديني..... 60
خاتمة.....75
قائمة المصادر والمراجع.....77
فهرس المحتويات.....82